

عِلْـمُ مُقَـارَنَةِ الأدْيَـانِ

بين التأصيل ومعوِّقات التجديد

إعداد الدكتور

صلاح محمود محمود أحمد الباجوري

أستاذ الأديان والمذاهب المساعد

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م

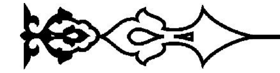



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


الملخَّـص

تتنـاول هـذه الدراسـةُ - بمـنهجٍ تـاريخيٍ تحليلـيٍّ - جانبًـا مهمًّـا مـن جوانـبِ التـراث الفكـريّ الإسـلاميّ، وهـو مـا يتعلـق بعِلـم مقارنـة الأديـان مـن حيـث ماهيتـه، وتأصيله، وأهم العقبات التي تعترض تجديده.

وتشـتمل الدراسـةُ علـى مبحثـين: تنـاول المبحـثُ الأوَّلُ تـاريخَ عِلـم (مقارنـة الأديـان) في الفكـر الإسـلامي، مـن حيـث: المفهـوم، والنشـأة، ودوافـع اهتمـام المسـلمين به، وأهميته بين العلوم الإسلامية.

أمَّـا المبحـث الثـاني فقـد تنـاول بعـضَ المعوِّقـاتِ التـي تعتـرض التجديـدَ المنشـودَ في عِلـم (مقارنـة الأديـان)، وهـذه المُعَوِّقـات هـي: غيـاب الموضـوعية في دراسـة الأديـان، والجهـل السـائد في أوسـاط البـاحثين في العـالم الإسـلامي باللغـات العالميـة، والأصـلية للأديان.

وفي خاتمـة البحـث كانـت أهـمُّ النتـائج والتوصـيات المقترَحـة لإحيـاءِ هـذا العِلـم والنهوض به.

الكلمات المفتاحية: مُقَـارَنةِ الأدْيَـانِ – التأصيل والتجديد – التجديد – معوقات التجديد– دراسة الأديان.





Comparative Science of Religions
Between rooting and obstacles to renewal

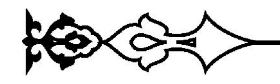
By Prof: Salah Mahmoud Mahmoud Bagouri
Assistant Professor of Religions and Doctrines
Faculty of Islamic dawa in Cairo
Salah.mahmoud@azhar.edu.eg
sh6@hotmail.com

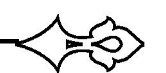
Abstract

This study deals with an essential aspect of the Islamic intellectual heritage using a historical and analytical approach; it takes into consideration the science of comparative religions, regarding its nature, definition, and the most significant obstacles to its renewal and development. The study includes two topics. The first topic deals with the history of science (comparative religions) in Islamic ideology, concerning the concept, emergence, the motives of Muslims interest in it, and its importance among Islamic sciences. As for the second topic, it investigates some of the obstacles to the desired renewal in the science of comparative religions including the absence of objectivity in the study of religions, ignorance among scholars, in the Islamic world.

At the end of the research, the research recommendations are to revive and advance in this science.

Keywords: Comparison of Religions - Rooting and Renewal - Renewal - Constraints of Renewal - Study of Religions.







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للهِ الذي مَنَّ علينا بتوحيده، فجنَّبنا الأهواءَ المُذِلَّةَ، والآراءَ المُضلَّةَ، وَأَرَانَا الحقَّ إذْ هدانا لبُرهانه ودليله، وأظهر لنا الباطلَ، وتفضَّلَ علينا بالعُدولِ عن سبيله. نحمدُه بمحامده التي لا تُحْصَى، ونشكره على آلائِه التي لم تَزَلْ تَتْرَى. والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيّدنا محمَّدٍ، المبعوثِ رحمةً للعالمين، المؤيَّدِ بالآياتِ والبراهين. صلَّى اللهُ عليه، وعلى آلِه الأطهار، وصَحْبِه الأخيار، ومَن تَبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

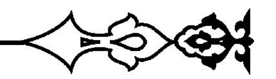
وبعدُ، فإنَّ الفكر الإسلاميَّ مَدْعُوٌّ في هذا العصرِ لبيانِ صورةِ الإسلامِ النقيَّةِ في نفوس أتباعه، ورَفْعِ اللبْسِ والغُموضِ الذي يكتنِفُهُ عند أعدائِه؛ بسبب الحملاتِ العدائيّةِ المستمرَّةِ، التي تُثير شُكوكًا وشبهاتٍ حول العلوم الإسلامية وأصالتها.

ولا شكَّ أنَّ التطلُّعَ لغايةٍ على هذا المستوى يتطلَّب استراتيجية، قُوامها إبراز العلوم الإسلامية، وتجديدها.

وتلك مهمةٌ أصبحت مُلقاةً على عاتق العلماء، ومنوطةً برجال الإصلاح؛ مصداقا لقول النبيّ ﷺ: « إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: أوَّل كتاب الملاحم، باب: ما يُذكر في قرن المائة، ج٤/ ص١٠٩، رقم ٤٢٩١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ج٦/ ص٣٢٣، رقم ٦٥٢٧، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة. وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب: الفتن والملاحم، حديث أبي عَوانة، ج٤/ ص٥٦٧، رقم ٨٥٩٢، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ -



ويعدُّ عِلم (مقارنة الأديان) من أخصــب العلوم التي أنتجتها العقولُ الإســلاميةُ أيَّام مجدِها، وأحد عناصر التراث الفكري للمسلمين التي ينبغي دراستها والعناية بها.

ومِن ثَمَّ كان هذه الدراسة الموسُومة بـــ (عِلم مقارنة الأديان: بين التَّأصيل ومعوِّقات التجديد).

أهمية الدراسة:

وفي عصــور الجمود الفكريّ الذي أصــاب المســلمين ضـعُف الدور الوظيفي لعِلم مقارنة الأديان كغيره من العلوم، ولا يعني انتهاء دوره، ولا انعدام الحاجة إليه، بل إنَّ دوره قائمٌ ما دام في الناس أديان ومذاهب مختلفة، وإنَّ حاجة المســلمين إلى هذا العلم في هذا العصر أشدّ من أيِّ عصرٍ مضى؛ وذلك للأسباب الآتية:

أولا: أهمية العقائد والأديان في توجيه الأنماط الســلوكية، والاتجاهات الفكرية، واســتغلال مختلف الطوائف لها، والاعتماد عليها في فهم العالم وتسييره.

ثانيا: ما يتميَّزُ به هذا العصــر مِن ثورةٍ في الاتصــال والعلاقات، أدَّت إلى زيادةِ الاحتكاكِ بين أتباع الأديان المختلفة، وتولُّد ما يسـمِّي بالصــراع بين الثقافات والحضــارات، لا ســيَّما بعد أحداث [سبتمبر ٢٠٠١م] وما استتبع ذلك من محاولاتٍ للنَّيْلِ من الإسلام وأهله، كلُّ هذا يجعلنا نتَّجه - كباحثين ومثقفين ودُعاة - إلى مزيدٍ من الاهتمام بعِلم مقارنة الأديان؛ ليقومَ بدوره في التعريف بالإسلام، وردِّ الحملات المشبوهة عنه. ويومَ ينشط هذا العِلمُ ستخبو - بإذن الله تعالى - تُرَّهاتُ الباطل، وتتضح معالمُ الحقّ.

١٩٩٠م. وقــال الســخاوي: "وســندُه صــحيح، ورجالــه كلُّهــم ثِقــات". (راجــع: المقاصــد الحسنة في بيــان كثير مــن الأحاديث المشــتهرة على الألســنة، أبــو الخير محمــد بــن عبــد الــرحمن الســخاوي، ص٢٠٣، تحقيــق: محمــد عثمــان الخشــت، دار الكتــاب العربــي، بيــروت، الطبعــة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)

ثالثا: التحديات التي تواجهها الأمَّةُ الإسلاميةُ، والتي عطَّلت حركةَ التجدُّد والمواكبة الذَّاتية في العلوم الإسلامية، الأمر الذي يستدعي بذل الجهود لتجديد هذه العلوم، والاستفادة منها.

رابعا: موقف الغرب من عِلم مقارنة الأديان الإسلامي، فبعْدَ أُفول نَجْم الحضارة الإسلامية أضحى هذا العِلمُ تراثًا انكبَّ عليه الغربُ ينهَلُ من مَعِينِه، ويستفيدُ من تجارب علماءِ الإسلام فيه، متغافلاً عن نِسبته الإسلامية! الأمرُ الذي يستوجب منَّا العمل على إبراز هذا العِلم، وإحيائه، وإعادة صياغته من جديد، والوقوف على إشكالاته.



أهداف الدراسة :

تَصْبُو هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف، هي:

أولا: إبراز أصالة عِلم "مقارنة الأديان" بين العلوم الإسلامية، ودور علماء المسلمين في: تأسيسه، وتطويره، وإحداثِ النقلةِ النوعيَّةِ في مجال الإبداع المعرفي في الدراسات الدينية المقارنة.

ثانيا: تلخيص أهمّ ما يُتَوَقَّعُ من هذا العِلم من أدوارٍ ومهام، في إطارِ معطيات عالَمِنا المعاصر.

ثالثا: التعرف على أهمّ المعوِّقات التي تعترض إحياء هذا العِلم وتجديده.

الدراسات السابقة :

الدراسةُ الوحيدةُ التي وقفتُ عليها حول هذا الموضوع كانت بعنوان (التجديد في عِلم مقارنة الأديان في العصر الحديث: دراسة تحليلية)، وهي أُطروحةٌ تقدَّم بها الباحث/ عامر علي محمد الرجوب؛ لنيل درجة الدكتوراة، في العقيدة والفلسفة الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، بالأردن، سنة ٢٠١٧م.

وتشتمل الدراسةُ على: تمهيدٍ، وخمسةِ فصول:

التمهيد، وفيه التعريف بالمصطلحات.

الفصل الأول: نشأة عِلم مقارنة الأديان، ويتضمن: استمداده، وجهود علماء المسلمين فيه.

الفصل الثاني: ضوابط التجديد في عِلم مقارنة الأديان ودوافعه، ويتحدث عن موافقة التجديد للقرآن الكريم، والسُّنة النبوية، والطبيعة البشرية.

الفصل الثالث: التجديد المنضبط في عِلم مقارنة الأديان، ويتضمن: مفهوم التجديد المنضبط، ومظاهره، وأبرز دُعاته.

الفصل الرابع: التجديد المنحرف في عِلم مقارنة الأديان، ويتضمن: مفهوم التجديد المنحرف، ومظاهره، وأبرز دُعاته، وأثر التجديد المنحرف في هذا العِلم.

الفصل الخامس: أثر التجديد في عِلم مقارنة الأديان في العصر الحديث، ويتضمن: المؤلَّفات، والوسائل المستخدَمة.

وتتشابه هذه الدراسة مع بحثي هذا في بعض مفردات الفصل الأول، والذي يتحدث عن نشأة عِلم مقارنة الأديان، أمَّا بقية فصول الدراسة، وما تضمنته من مباحث، فلا صِلَةَ لها ببحثي، الذي كان له تساؤلاته واهتماماته الخاصة.

منهج الدراسة :

استنار الباحثُ في تناوله لهذا الموضوع بمناهج البحث التالية:

أولا: المنهج التاريخي: وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية ، ويُعنى باسترداد الماضي، تبعًا لِما ترَكه من آثار، أيًّا كان نوعها[1].

ثانيا: المنهج التحليلي: وهو منهج يقوم على دراسةِ الأشكال العلميّة المختلفة،

---

(1) مناهج البحث العلمي. د/ عبد الرحمن بدوي، ص ٦٨، دار النهضة العربية، ١٩٦٣م.

تفكيكا، أو تركيبا، أو تقويما(1).

ثالثا: المنهج الا ستنباطي: ويُعنى بحصر الحقائق العامة، وتصنيفها، وترتيبها، ثم الاستنباط منها(2).

خطة الدراسة :

تشتمل الدراسةُ على: مقدمةٍ، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطتها.

المبحث الأول: عِلم مقارنة الأديان، وتاريخه في الفكر الإسلامي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بعِلم مقارنة الأديان.

المطلب الثاني: نشأة عِلم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي.

المطلب الثالث: دوافع اهتمام المسلمين بعِلم مقارنة الأديان.

المطلب الرابع: أهمية عِلم مقارنة الأديان.

المبحث الثاني: معوِّقات التجديد في عِلم مقارنة الأديان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم (التَّعويق) و(التَّجديد).

المطلب الثاني: غياب الموضوعية في دراسة الأديان.

المطلب الثالث: الجهل باللغات.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المصادر والمراجع. وأخيرا، **الفهارس**.

---

(1) أبجديات البحث في العلوم الشرعية. د/ فريد الأنصاري، ص٩٦، سلسلة (الحوار) العدد٢٧، منشورات الفُرقان، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(2) قواعد أساسية في البحث العلمي. د/ سعيد صيني، ص٧١، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ.

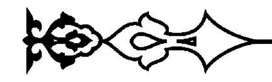
وبعدُ، فأسألُ اللهَ – تعالى – أن أكونَ قد وُفِّقتُ في الإسهام بالارتقاء من مستوى الوعي بأزمةِ علم مقارنة الأديان، وتشخيصها، إلى مستوى الإمساك بأهمِّ مفاصلها، والنجاح في رَسْمِ أبرز معالم تجديدها، والحمدُ للهِ أوَّلاً وآخرًا.



د/ صلاح محمود محمود الباجوري

أستاذ الأديان والمذاهب المساعد - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

حائل، في : ١٥ شعبان ١٤٤٠هـ = ٢٠ أبريل ٢٠١٩م





المبحث الأول
عِلم مقارنة الأديان وتاريخه في الفكر الإسلامي

لكي يكون التجديدُ في العلومِ الإسلامية ذا نفعٍ وفاعلية، لا بُدَّ لنا من معرفة هذه العلوم، من حيث المعرفةِ بها: مفهومًا، ونشـأةً، وصـيرورةً، ومقاصـدَ، ومشـاكلَ.. وبدون هذه الاستيعابية يعسر تصوّر تجديدٍ مُثمِر لها.

ولذا نبدأ بالتأريخ لعِلم "مقارنة الأديان" في الفكر الإسلامي، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
التعريف بعِلْم مقارنة الأديان

تتشكل بنية عِلمُ الأديان (Science of Religions) من ثلاثةِ مباحث:

الأول: تاريخ الأديان، ويبحثُ في نشأة الديانةِ، وحياةِ مؤسسها، وأسبابِ انتشارها، وألوانِ تطوّرها.

الثاني: فلسفة الأديان، ويبحثُ في الأُسس التي تستند إليها الأديانُ، من: عقيدةٍ، وعبادةٍ، وشريعةٍ، وأخلاقٍ، ومعاملاتٍ، والغاياتِ التي تهدف إليها.

الثالث: مقارنة الأديان، ويبحث في خصائص ومَيْزات كلِّ دينٍ، ويوازنُ بينها وبين خصائص ومَيْزات الأديان الأخرى(١).

---

(١) راجع: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند. د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص١٨-٢٠، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، وعِلم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، د/ إبراهيم محمد تركي، ص١٢، دار الوفاء لدُنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

وترجع هذه التقسيمات والمصطلحات إلى الغرب حين بدأ اهتمامه بعِلم الأديان، ومنه انتقلت إلى العالم الإسلامي. لكنَّنا نرى - من الوجهة الإسلامية - أنَّ أيَّ دراسةٍ للأديانِ لا بُدَّ أن تتضمن تلك المباحث الثلاثة مجتمَعةً؛ إذ لا يجوز دراسة الأديان دُون الوقوف على نشأتها، وتاريخها، والأُسس التي قامت عليها في جوانبها المختلفة، ومِن ثَمَّ مقارنة هذه الأديان بغيرها؛ للتمييز بين الحقِّ منها والباطل[1].

وما يعنينا هنا هو مصطلح (مقارنة الأديان)، والذي يتركب من لفظين، هما: المُقارَنة، والدِّين.

أولا : تعريف المقارَنة

- المقارنة لغة:

تتضمن المقارنةُ في اللغة عدَّة معانٍ: الاقتران، والمُصاحَبة، والوَصْل. يقال: قارَنَ الشَّيءُ الشَّيءَ، مُقارَنةً، وقِرانًا: اقْتَرَنَ بِهِ وَصَاحَبَهُ. واقْتَرَنَ الشَّيءُ بِغَيْرِهِ، وَقَارَنْتُهُ، قِرَانًا: صَاحَبْتُهُ. وقَرَنْتُ الشَّيءَ بِالشَّيءِ: وَصَلْتُهُ[2].

- المقارنة اصطلاحا:

المقارنةُ في المجال المعرفي رديفُ "الموازَنة"، وهي أداةٌ فكريةٌ، ومهارةٌ معرفيَّة، يتمتَّع بها البشرُ بنِسَبٍ متفاوتةٍ، تتبع مستواهم المعرفي والثقافي[3].

---

(١) عِلم المِلل ومناهج العلماء فيه، د/ أحمد بن عبد الله جود، ص١٢، سلسلة (الرسائل الجامعية)، رقم ٣١، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.

(٢) لسان العرب. أبو الفضل، محمد بن مكرم بن منظور، ج١٣/ ص٣٣٦، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٣) مقارنة الأديان (مفهومه وموضوعه وطبيعته)، هاني بن عبد الله الملحم، مجلة الدراسات الإنسانية، العدد ١٥، ص٣٨، كلية الآداب والدراسات الإنسانية، جامعة دنقلا، السودان، ٢٠١٦م.

وتُعَرَّفُ المقارنةُ بأَنَّها: « عمليةٌ ذهنيةٌ، تقوم على ربطِ موضـوعٍ بآخر، برابطٍ واحد؛ لاستخلاصِ أوجُه الشبَه والاختلاف بينهما، وقد يشمل هذا الرَّبطُ موضوعين أو أكثر »(١).

ثانيا: تعريف الدِّين

الدِّين لغة:



تُستعمل كلمةُ « الدِّين » عند العرب في معانٍ كثيرةٍ، وجُملة القول فيهـا « أَنَّها كلمةٌ تُشير إلى علاقةٍ بين طرفَيْن، يعظِّمُ أحدُهما الآخرَ ويخضـعُ له، فإذا وُصِـف بها الطرفُ الأَوَّلُ كانت خضـوعًا وانقيادًا، وإذا وُصِـفَ بها الطرفُ الثاني كانت أمرًا وسُـلطانًا، وحُكمًا وإلزامًا، وإذا نُظِر بها إلى الرِّباطِ الجامعِ بين الطرفين كانت هي الدستورُ المنظِّمُ لتلك العلاقة، أو المظهرُ الذي يعبِّرُ عنها »(٢).

الدين اصطلاحا:

اختلفت التعريفات - بين الإسـلاميين والغربيين - في معنى (الدِّين) اصـطلاحا(٣)، ويمكن تعريفه بأَنَّه « الاعتقـادُ بوجودِ ذاتٍ - أو ذوات - غيبيةٍ، عُلـويَّةٍ، لهـا شعورٌ واختيارٌ، ولها تَصَرُّفٌ وتدبيرٌ للشئون التي تعني الإنسان، اعتقـادًا مِن شأنِهِ أن يبعثَ على مناجـاةِ تلك الذَّاتِ السَّاميةِ، في رغبةٍ ورهبةٍ، وفي خضوعٍ وتمجيدٍ »(٤).

---

(١) المعجـم الفلسـفي، د/ جميـل صـليبا، ج٢/ ص٤٠٥، دار الكتـاب اللبنـاني، بيـروت، لبنـان، ١٩٨٢م.

(٢) الـدِّينُ (بحـوث مُمَهِّـدة لدراسـة تـاريخ الأديـان)، د/ محمـد عبـد الله دراز، ص٣١، دار القلـم، الكويت، بدون طبعة أو تاريخ.

(٣) انظر السابق: ص٣٣ - ٣٦.

(٤) السابق: ص٥٢.

ثالثا: تعريف (عِلم مقارنة الأديان)

يشير "إريك شارب[1] (Eric. Sharps) في مدونته "تاريخ مقارنة الأديان" (History of Comparative Religions) إلى أنَّ عِلمَ الدِّين المقارن (Comparative Religion) لم يحظ بتعريفٍ علمّيٍّ جامعٍ إلاَّ في بداية القرن العشرين الميلادي، خاصةً في مدوَّنة جوردن[2] Louis Jordan [مقارنة الأديان: جذورها وتطورها] التي طُبعت عام ١٩٠٥م، وفيها عرَّف "جوردن" عِلم مقارنة الأديان بأنه « الدَّرسُ العلميُّ الذي يُقارِنُ بين أصولِ المعتقدات، وأشكال الطقوس والعباداتِ لأديانِ العالم؛ لمعرفةِ أوجُه التشابه والتباين بينها، وتحديد القواسم المشتركة، وعلاقة بعضها ببعض، ومعرفة مواطن القوة والضعف بينها، من خلال المقابلة والموازنة كأجناس »[3].



وفي هذا التعريف تحديدٌ لعنصرين مهّمين، هما: مفهوم عِلم مقارنة الأديان، ووظيفته، لكننا نلاحظ في هذا التعريف غيابَ العنصر المعياريّ لهذا العِلم، والذي به تتمايز المعتقداتُ إلى: حقٍّ يجب الأخذ به، وباطلٍ يجب التخلِّي عنه.

ونظرا لغياب هذا العنصر المعياري كان التعريفُ غيرَ مستوفٍ لشروط قبوله عند مؤرخي الأديان المسلمين، ومِن ثَمَّ عُرِّف "عِلمُ مقارنة الأديان" في الفكر الإسلامي بأنه: عِلمٌ يبحث في المِلَل، من حيثُ منشئها، وتطورها، وانتشارها، وأَتْبَاعها، وفي العقائدِ والأصول التي

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) نقلا عن: عِلم مقارنة الأديان بين سؤالي المفهوم والموضوعية: دراسة تحليلية مقارنة. د/ عبد الرزاق عبد الله حاش، مجلة (إسلامية المعرفة)، السنة ١٧، العدد ٦٧، ص٧٧، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

تتركَّز عليها المِلَلُ المختلفة، وفي أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينهما، مع المقارنة والمناقشة والرد؛ إظهاراً للحقيقة بأدلةٍ يقينية(١).

وبهذا لم يَعُدْ مفهوم هذا العِلم قاصـرًا على عمليتي الوصـف والتحليل - كما هو الحال في تعريف عُلماء الغرب له - بل تضّمن عناصرَ أُخرى كالمناقشة، والردّ، وهي عناصر معيارية يُتجاوز بها هذا العِلمُ من كونه أداةَ وصفٍ وتحليلٍ إلى أداةِ تصويبٍ وتمحيص.

***

(١) عِلم المِلل ومناهج العلماء فيه: ص١٢، مرجع سابق.



المطلب الثاني

نشأة عِلم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي

لم يَعرفْ المسلمون قديمًا مصطلحَ (مقارنة الأديان)؛ فهو مصطلحٌ حديث النشأة، يعود تاريخ ظُهوره إلى بداياتِ القرن السابع عشر الميلادي، بعد أن برزت حاجةُ الغربِ إلى تمييز هذا العِلم عن العلومِ اللاهوتية العامَّة مِن جهةٍ، وسعْيِهِ إلى مقارنةِ الظواهر الدينية المختلفة فيما بينها، مِن جهةٍ أُخرى(١).

أمَّا مادةُ هذا العِلم فهي أصيلةٌ وغزيرةٌ في الفِكر الإسلامي، وقد وردت مبثوثةً فيما عُرِف في العلوم الإسلامية بـ (عِلم الكلام)، و(عِلم المِلل والنِّحَل)، و(عِلم مقالات غير الإسلاميين)، و(عِلم الرُّدود على الأديان)(٢).

ويمكن تناول نشأة (عِلم مقارنة الأديان) في الفكر الإسلامي من خلال العناصر الآتية:

أولا : أثر القرآن الكريم في نشأة عِلم مقارنة الأديان

عندما نتفحَّص آياتِ القرآنِ الكريم التي تتحدَّثُ عن الأديانِ، نَرَى أنَّها تتناولُ تفصيلاتٍ عقديَّةٍ لأقوامٍ سبقتِ الإسلامَ، كحديثه عن قومِ نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يوسف، وقوم إلياس – عليهم جميعًا صلاةُ اللهِ وسلامُه – الأمر الذي يصعُب معه سرد آياته في مقامِنا هذا. وإضافةً إلى حديثِ القرآنِ

---

(١) عِلم مقارنة الأديان بين التأصيل والتغريب. د/ عبد القادر بخوش، مجلة الإحياء، العدد ١١، ص١٦٨، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، وراجع أيضا: المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية (دراسة مقارنة)، سومية حجَّاج، ص٤٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ.

(٢) راجع: أُسس المنهج الإسلامي في دراسة تاريخ الأديان. د/ فرحات عبد الحكيم، مجلة الإحياء، ص٨٦، العدد الثاني، ص٨٠، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، وعِلم مقارنة الأديان بين التأصيل والتغريب: ص١٦٨.

المســـتفيضِ عن هذه الأقوامِ الوثنيةِ البائدةِ، فقد تناول بالحديث الرســـالات الســـماوية المعاصِـــرة لنزوله بشـــكلٍ أوســـع، فتحدث عن اليهوديةِ والنصـــرانيةِ، وتعرَّض لعقائدها باستقصاءٍ دقيـــقٍ غيرِ مسبوقٍ، وناقش هذه العقائد، مُبيِّنًا ما فيها من زيغٍ وانحرافٍ عن الدِّينِ الصحيحِ الذي أَرسل اللهُ به رُسُلَه(١).

وهذه الآياتُ القرآنيةُ تُعرِّفُنا - مِن ناحيةٍ تاريخيةٍ - بالعقائدِ والأديانِ السَّـــابقة على الإســـلام أو المعاصِـــرةِ له، ومن ناحيةٍ أُخرى تطرحُ بعضَ المقارناتِ بين دِينٍ ودينٍ، أو بين عقيدةٍ وعقيدةٍ(٢).

ولا ريبَ أنَّ حديث القرآن الكريم هذا عن الأديان قد حفَّز العقولَ الإسلاميةَ لرصدِها، والاهتمامِ بها، ممَّا كان له أثرُه - فيما بعد - في نشـــأةِ ما يُســـمى بـــــ "عِلم مقارنة الأديان"، ووضع أصوله، ومناهج بحْثِه، وقواعد دَرْسِه(٣).

وهذا أمرٌ سنُزيده إيضاحًا - بمشيئةِ الله - في موضعٍ آخرَ مِن هذه الدراسة(٤).

(١) راجـع: الأديـان في القـرآن، د/ محمـود بـن الشـريف، شـركة مكتبـات عكـاظ للنشـر والتوزيـع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) عِلـم مقارنـة الأديـان (أصـوله ومناهجـه ومسـاهمة علمـاء المسـلمين والغـرب في تأصـيله). د/ حسـن البـاش، ص٢١، دار قتيبـة للطباعـة والنشـر والتوزيـع، دمشـق، سـوريا، الطبعـة الأولـى، ١٤٣٢هـ.

(٣) في مقارنـــة الأديـــان، بحـــوث ودراســـات. د/ محمـــد عبـــد الله الشـــرقاوي، ص٥، دار الجيـــل، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٤) راجع: المطلب الثالث (دوافع اهتمام المسلمين بعِلم مقارنة الأديان).

ثانيا : نشاط علماء المسلمين في مجال الأديان

على هدي من هذه الإشارات القرآنية اهتمَّ علماء المسلمين بدارسةِ الأديان الأُخرى، كتابية ووضعيّة، ودراسةِ مبادئِها، وعقائدِها، وكُتُبِها، وفِرَقِها، ثم مناقشتها مناقشةً عقليَّة منهجيَّة(1).



ولمَّا جاء عصرُ التدوين - منتصف القرن الثاني الهجري(2) - وبدأ المسلمون يكتبون الفقهَ، والتفسيرَ، والحديثَ، وغيرها من العلوم، اتَّجهوا - كذلك - للتصنيف والتأليف في عِلم مقارنة الأديان(3).

وترجع بوادرُ نشاطِ المسلمين في هذا الميدانِ إلى علماءِ الكلام(4)، الذين أخذوا على عاتِقِهم مسئوليةَ الدِّفاع عن الإسلام، تلك المسئولية التي فرضتْ عليهم مواجهةَ ما حولهم، أو ما يُواجههم من الأديان والفلسفات والمذاهب المختلفة(5).

---

(1) دراسات في المِلل والنِّحَل (أصول المسيحية الهلِّينية)، د/ محمد عبد الله الشرقاوي، ص7، الطبعة الأولى 1414هـ - 1993م.

(2) راجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ج3/ ص776، تحقيق: د/ بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003م.

(3) اليهودية. د/ أحمد شلبي، ص27، سلسلة (مقارنة الأديان)، العدد 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1988م.

(4) يُعرَّف عِلمُ الكلام بأنَّه « عِلم يتضمن الحِجاجَ عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السَّلف وأهل السنة ». مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ص458، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، 1984م.

(5) في علم الدين المقارن (مقالات في المنهج)، د/ دين محمد محمد ميرا، ص36، دار

وقـد خلَّف المسـلمون وراءهم روائع اسـتفاد منهـا الـدَّارسـون، واحتفَى بهـا المتخصصون، في الغرب أو في الشرق على حَدٍّ سواء.

ومن أبرز هذه المؤلفات:

١ - **ألفُ مسألةٍ في الردِّ على المانويّة**(١)، لواصل بن عطاء(٢) (ت ١٣١هـ).

البصائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(١) ذكـره أحمـد بـن يحيـى المرتضـى، في كتـاب "المُنيـة والأمـل في شـرح كتـاب المِلـل والنِّحـل" ص٢١، اعتنـى بتصـحيحه: تومـا أرنولـد، مطبعـة دائـرة المعـارف، حيـدر آبـاد، ١٣١٦هـ. والمَانويَّة : هـم أصـحابُ (مـانِي بـن فاتـك الحكـيم) الـذي ظهـر في زمـان (سـابور بـن أردشـير) بعـد (عيسـى ﵇)، وقـد أحـدث (مـاني) دِينـا بـين المجوسـية والنصـرانية، وكـان يقـول بنبـوة عيسـى، ولا يقـول بنبـوة موسـى - عليهمـا السـلام -. وزعـم أنَّ العـالم مركَّـبٌ مـن أصـلين: أحـدهما نـور، والآخـر ظُلمـة، وأنهمـا أزليـان، وأنكـر وجـودَ شـيءٍ إلاَّ مِـن أصـل قـديمٍ، وزعـم أنهمـا لـم يـزالا قـويين، حساسـين، مـدركين، سـميعين بصـيرين. (راجـع: المِلـل والنِّحَـل. أبـو الفـتح، محمـد بـن عبد الكريم الشهرستاني، ج٢/ ص٤٩، مؤسسة الحلبي).

(٢) أبـو حذيفـة، واصِـل بـن عَطَـاء الغـزّال (٨٠ - ١٣١ هـ) : رأس المعتـزل، ومـن أئمـة البلغـاء والمتكلمـين. سُـمي أصـحابه بـ (المعتزلـة)؛ لاعتزالـه حلقـة درس الحسـن البصـري. وهـو الـذي نشـر مـذهب "الاعتـزال" في الآفـاق. لـه مؤلـف في التوحيـد، وكتـاب (المنزلـة بـين المنـزلتين). (راجـع: وَفَيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان. أحمـد بـن محمـد بـن خَلِّكـان، ج٦/ ص ٧، تحقيـق: إحسـان عبـاس، دار صـادر، بيـروت، ١٩٠٠م، الـوافي بالوفيـات. صـلاح الـدين خليـل بـن أيبـك الصـفدي، ج٧/ ص ٢٤٥، تحقيـق: أحمـد الأرنـاؤوط، وتركـي مصـطفى، دار إحيـاء التـراث، بيـروت، ١٤٢٠هـ، سِـيَر أعـلام النـبلاء. أبـو عبـد الله، محمـد بـن أحمـد الـذهبي، ج٥/ ص ٤٦٤، تحقيـق: مجموعـة مـن المحققـين، بإشـراف الشـيخ/ شـعيب الأرنـاؤوط، مؤسسـة الرسـالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ).

٢- **الردُ على أهل الأديان**(١)، للعَلاَّف(٢) (ت ٢٣٥هـ).

٣- **في الردِّ على النصارى**(٣)، للجاحظ(٤) (ت ٢٥٥هـ).



(١) ذكره محمد بن أبي يعقوب، المعروف بالورَّاق، في الفهرست، ج٥/ ص٢٠٤، تحقيق: رضا – تجدّد، بدون طبعة أو دار نشر.

(٢) أبو الهذيل، محمد بن محمد بن الهذيل، العلاَّف (١٣٥ – ٢٣٥هـ): من أئمة المعتزلة. وُلد في البصرة، واشتُهر بعِلم الكلام. كان حَسَنَ الجدل، قوي الحجة، سريع الخاطر، وتوفي بسامرا. له كتب كثيرة، منها: كتاب سمّاه (ميلاس) على اسم مجوسيٍّ أسلم على يده، وكتاب على المجوس، وكتاب على الثنوية، وكتاب على اليهود، وكتاب على النَّصارى، وكتاب الرد على أهل الأديان. (راجع: معجم الأعلام. خير الدين بن محمود الزركلي، ج٧/ ١٣٠، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، مايو ٢٠٠٢م، الفهرست لابن نديم: ج٥/ ص٢٠٤).

(٣) حققه دكتور/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م، دكتور/ إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

(٤) أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٣ – ٢٥٥هـ) : كبير أئمة الأدب، ورئيس الفِرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فَلِجَ في آخر عمره. وكان مشوَّه الخِلقة. له تصانيف كثيرة، منها: "الحيوان"، و"البخلاء"، و"البيان والتبيين"، و"المحاسن والأضداد". (راجع: وَفَيات الأعيان، ج٣/ ص٤٧٠، معجم الأعلام: ج٥/ ص٧٤).

٤- **الآراء والديانات**[١]، للنَّوْبَخْتِي[٢] (ت ٣١٠هـ).

٥- **جُمَل المقالات**[٣] للأشعري[٤] (ت ٣٢٤هـ).

---

(١) راجع: الفهرست لابن نديم، ج١/ ص٢٥١، تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ص٤٤، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ج٢/ ص٦٦٦، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨م، الوافي بالوفيات، ج١٢/ ص١٧.

(٢) أَبُو مُحَمَّد، الْحسن بن مُوسَى النُّوبَخْتي (٠٠٠ - ٣١٠هـ) : متكلم، فيلسوف، شيعي، من أهل بغداد، له مصنفات في الكلام والفلسفة، منها: "الآراء والديانات"، و"فِرق الشيعة "، و"الرَّدّ على أصحاب التناسخ".(راجع: الوافي بالوفيات، ج١٢/ ص١٧٤).

(٣) راجع: تبيين كَذِب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر) ص١٣١، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

(٤) أبو الحسن، علي بن إسماعيل الأشعري: (٢٦٠- ٣٢٤ هـ) : صاحب الأصول، والقائم بنُصرة مذهب السُّنة، وإليه تُنسب الطائفة الأشعرية، مولده بالبصرة، قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب، منها: "مقالات الإسلاميين"، و"مقالات الملحدين"، و"الإبانة عن أصول الديانة"، و"إمامة الصدّيق"، و"الرد على المجسمة". (راجع: وفيات الأعيان، ج٣/ ص٢٨٤، معجم الأعلام: ج٤/ ص٢٦٣).

٦- **المقالات في أصول الديانات**[١]، للمسعودي[٢] (ت ٣٤٦هـ).

٧- **الإعلام بمناقب الإسلام**[٣]، للعَامِريّ[٤] (ت ٣٨١هـ).

٨- **التمهيد**[٥] للباقلاني[٦] (ت ٤٠٣ هـ).



---

(١) راجع: معجم الأدباء ج٤/ ص٥٠، الوافي بالوفيات ج٢١/ ص٦، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله المشهور بـ (حاجي خليفة)، ج٢/ ص١٧٨٢، مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م.

(٢) أبو الحسن، عَليّ بن الْحُسَيْن المَسْعُودِيّ (٠٠٠ - ٣٤٦ هـ) : المؤرخ، من ذُرِّيَّة عبد الله بن مَسْعُود ﷺ، عداده فِي البغداديين، وَأَقَام بِمصْر مُدَّة. من تصانيفه: "مروج الذهب"، و"التنبيه والإشراف"، و"المقالات في أصول الديانات"، و"الإبانة عن أصول الديانة"، و"المسائل والعِلل في المذاهب والملل". (راجع: الوافي بالوفيات: ج٢١/ ص٥، معجم الأعلام: ج٤/ ص ٢٧٧).

(٣) حققه د/ أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(٤) أبو الحسن، محمد بن أبي ذر يوسف العامري (٠٠٠ - ٣٨١هـ) : عالم بالمنطق والفلسفة. من أهل خراسان. اتصل بابن العميد (الوزير الكاتب)، وقرآ معا عدَّة كُتب. من مصنفاته : "الإبصار والمبصر"، و"الإعلام بمناقب الإسلام"، و"السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية". (راجع: معجم الأعلام، ج٧/ ص١٤٨، معجم المؤلفين. عمر كحالة، ج١٢/ ص١٢، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت).

(٥) نشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، ضمن منشورات جامعة الحكمة في بغداد، عام ١٩٥٧م.

(٦) هو أبو بكر، محمَّد بن الطيِّب بن الباقِلَّانِيّ [٣٣٨- ٤٠٣هـ]: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت اليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. من آثاره: (تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل)، و(إعجاز القرآن)، و(الانتصار لصحَّة نقل القرآن، و(مناقب الأئمة ونقض المطاعن على

٩ - **دركُ البُغية في وصفِ الأديان والعبادات**[١]، للمُسَبِّحي[٢] (ت ٤٢٠هـ).

١٠ - **تحقيق ما للهند من مولةٍ مقبولةٍ في العقل أو مرذولة**[٣] للبيروني[٤] (ت ٤٤٠هـ).

١١ - **الفِصل في المِلل والأهواء والنِّحل**، لابن حزم[٥] (ت ٤٥٦هـ).



سَلَف الأمة). (راجع: سير أعلام النبلاء، ج١٧/ ص١٩٠، الوافي بالوفيات، ج٣/ ص ١٤٧، معجم الأعلام: ص ١٧٦).

(١) يقع هذا السِّفْر في ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة. (راجع: وفيات الأعيان، ج٤/ ص٣٧٨، تاريخ الإسلام ج٢٨/ ص٤٩١، الوافي بالوفيات، ج٤/ ص ٩، كشف الظنون ج١/ ص٧٥٢).

(٢) محمد بن عبيد الله المُسَبِّحي (٣٦٦ - ٤٢٠هـ) : أمير، مؤرخ، عالم بالأدب. أصله من حران، ومولده ووفاته بمصر. اتصل بخدمة الحاكم ابن العزيز العبيدي صاحب مصر، وحظي عنده. من كُتُبه : "تاريخ المغاربة ومصر"، و"التلويح والتصريح"، و"القضايا الصائبة"، و"الراح والارتياح"، و"درك البغية في وصف الأديان والعبادات". (راجع: الوافي بالوفيات، ج٤/ ص ٩، معجم الأعلام: ج٦/ ص ٢٥٩).

(٣) طُبع تحت رعاية وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

(٤) أبو الريحان، محمد بن أحمد، البِيرُوني (٢٦٢ - ٤٤٠هـ) : فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم. أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود. ارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنَّف كتبا كثيرة متقنة، منها: "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، و"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، و"الاستيعاب في صنعة الأسطرلاب"، و"الجماهر في معرفة الجواهر". (راجع: الوافي بالوفيات، ج٨/ ص٩١، معجم الأعلام: ج٥/ ص ٣١٤، معجم المؤلفين: ج١/ ص٢٧٤).

(٥) أبو محمد، علي بن أحمد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) : مولده بقرطبة، كان حافظـًا عالمـًا بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة، ومتفننـًا في علوم جمة، عاملاً

١٢ - **الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل**[١]، للغزالي[٢] (ت ٥٠٥هـ).

١٣ - **المِلَل والنِّحَل**، للشهرستاني[٣] (ت ٥٤٨هـ).

١٤ - **اعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين**، للرازي[٤] (ت ٦٠٦هـ).



بعلمه، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها : "الفِصل في المِلل والأهواء والنِّحَل"، و"المحلى"، "جمهرة الأنساب"، و"الناسخ والمنسوخ"، و"حجة الوداع". (راجع: وفيات الأعيان، ج٣/ ص ٣٢٥، معجم الأعلام: ج٤/ ص٢٥٤).

(١) ترجمه إلى الفرنسية الأب: روبير شدياق اليسوعي، ونشره: عبد العزيز عبد الحق، في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، عام ١٣٩٣هـ، كما حققه د/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.

(٢) أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) : حُجَّة الإسلام، فيلسوف، متصوف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان)، من كتبه: "إحياء علوم الدين"، و"تهافت الفلاسفة"، و"الاقتصاد في الاعتقاد"، و"معارج القدس في أحوال النفس"، و"المنقذ من الضلال"، و"فضائح الباطنية"، و"المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى". (راجع: وفيات الأعيان، ج٤/ ص ٢١٦، معجم الأعلام: ج٧/ ص ٢٢).

(٣) أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتَاني (٤٧٩ - ٥٤٨هـ) : من فلاسفة الإسلام. كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. وُلد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم)، وتوفِّي بها. من كتبه: "المِلل والنِّحَل"، و"نهاية الإقدام في علم الكلام"، و"الإرشاد إلى عقائد العباد"، و"مصارعات الفلاسفة"، و"المبدأ والمعاد". راجع: (وفيات الأعيان، ج٤/ ص ٢٧٣ معجم الأعلام: ج٦/ ص٢١٥).

(٤) أبو عبد الله، محمد بن عمر الرازيّ (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) : الفقيه الشافعي، فريد عصره ونسيج وحده، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، وتوفي في هراة. من تصانيفه: "مفاتيح الغيب"، و"معالم أصول الدين"، و"عصمة الأنبياء"، و"أسرار التنزيل"،

١٥- **بين الإسلام والمسيحية**[١] للخزرجي[٢] (ت ٥٨٢هـ).

١٦- **الإعلام بما في دِين النَّصارى من الفساد والأوهام**، للقرطبي[٣] (ت ٦٧١هـ).

١٧- **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**[٤] للسَّكْسَكِي[٥] (ت ٦٨٣هـ).

١٨- **الجواب الصحيح لِمَن بدَّل دينَ المسيح**، لابن تيمية[٦] (ت ٧٢٨هـ).



و"المطالب العالية"، و"المحصول في علم الأصول". (راجع: وفيات الأعيان، ج٤/ ص ٢٤٩، معجم الأعلام: ج٦/ ص ٣١٣).

(١) حققه د/ محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

(٢) أبو جعفر، أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي (٥١٩ - ٥٨٢هـ) : فقيه أندلسي، من أهل قرطبة. نزل بجاية، وسكن غرناطة، وعمي في آخر عمره. وتوفي بفاس. له: "آفاق الشموس وأعلاق النفوس"، و"مقاطع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان". (راجع: الوافي بالوفيات، ج٧/ ص٤٣، معجم الأعلام: ج١/ ص ١٥٠).

(٣) أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي (٠٠٠ - ٦٧١ هـ): من كبار المفسرين، إمام متفنن، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق، واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفِّي فيها. من كتبه: "الجامع لأحكام القرآن"، و"الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، و"التذكار في أفضل الأذكار"، و"التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة". (راجع: الوافي بالوفيات، ج٢/ ص٨٧، معجم الأعلام: ج٥/ ص ٣٢٢).

(٤) حققه د/ بسام العموش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

(٥) أبو الفضل، عباس بن منصور السَّكْسَكي (٦١٦ - ٦٨٣هـ) : فقيه يماني من الشافعية. ولي القضاء في تعز. من مصنفاته: "البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان". (راجع: معجم الأعلام: ج٣/ ص ٢٦٨، معجم المؤلفين: ج٥/ ص٦٥).

(٦) أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ): الإمام، المفسِّر، الفقيه،

١٩- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، لابن القيِّم[1] (ت ٧٥١هـ).

وغير هذه المؤلفات كثير، يضيق المقام بحصرها. ويلاحِظُ القارئُ لمؤلّفاتِ المسلمين عن الأديان في هذه الفترة، الآتي:

أ- أن علماء (المعتزلة) كانوا أوَّلَ مَن خاض هذا الحقل العلمي، وأبلى فيه بلاءً حسنًا، ثم تابعهم في ذلك بعضُ الفلاسفة.

ب- لم تكن دراسة المِلل والنِّحَل مقصورةً على المتكلمين والفلاسفة، بل شاركهم هذا الاهتمام المؤرِّخونَ أمثال: (المسعودي)، و(البيروني)، و(اليعقوبي)، و(المقريزي)، وقد تضمنت كُتبُهم معلوماتٍ مفيدة عن بعض الأديان وتطورها[2].

ج- قام علماء المسلمين بتوظيف ألفاظٍ تضمَّنت الجُهدَ المعرفيَّ المقارن للدِّين، دُونَ ذِكْرِ

المجتهد، الحافظ، المحدِّث، شيخ الإسلام. وُلد في "حرَّان"، وكان كثيرَ البحث في فنون الحكمة، داعيةَ إصلاح في الدِّين، آيةً في التفسير والأصول، بلغت مؤلفاته ثلاثَ مئة مجلد، منها: "السياسة الشرعية"، و"الفتاوى"، و"منهاج السُّنة"، و"مجموع رسائل"، و"رفع الملام عن الأئمة الأعلام". (راجع: الوافي بالوفيات، ج٧/ ص١١، معجم الأعلام: ج١/ ص١٤٤).

(١) أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيِّم الجُوزيَّة (٦٩١ - ٧٥١هـ): من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الّذي هذب كُتبَه، ونشر عِلمَه، وسُجن معه في قلعة دمشق. ألّف تصانيف كثيرة، منها: "إعلام الموقعين"، و"الطرق الحكمية في السياسة الشرعية"، و"أحكام أهل الذمة"، و"تحفة المودود بأحكام المولود"، و"زاد المعاد"، و"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"، و"مدارج السالكين"، و"إغاثة اللهفان"، و"الجواب الكافي". (راجع: الوافي بالوفيات، ج٢/ ص ١٩٥، معجم الأعلام: ج٦/ ص ٥٦).

(٢) دراسات في الملل والنحل، د/ الشرقاوي: ص٨.

لفظ (المقارنة) مثل: (المِلَل والنِّحَل)، و(الأهواء والمِلَل والنِّحَل)، و(الفَرْق بين الفِرَق)، بمعنى أنهم وظّفوا مفهومَ عِلم "مقارنة الأديان" دون ذِكر المصطلح[(١)].

ولكنْ سُرعان ما لاحَتْ عصورُ الانحطاط التي لَحِقت بالمسلمينَ، فانحصر - أو انعدم - اشتغالُهم بالأديان، وفي الوقت الذي أهمل فيه المسلمون هذا العِلم توافر الغربُ على دراسته، وقد حفَّزهم على ذلك اللقاءاتُ السِلميةُ بين المسلمين والمسيحيين في الشام والأندلس. وما إنْ أطلَّ العصرُ الحديثُ حتى تبنَّى الفكرُ الغربيُّ هذا العِلمَ، مُعلنا نسبَتَهُ إليه، شأنُه في ذلك شأن علومٍ عديدة ! وبذلك دخل "علمُ مقارنة الأديان" عهدا جديدا [(٢)].

ثالثا : أصالة " عِلم مقارنة الأديان " في الفكر الإسلامي

في صدد الحديثِ عن نشأة عِلم "مقارنة الأديان" تواجهنا إشكالية ادِّعاء الغرب السَّبق التاريخيّ في إيجاد هذا العِلم.

يقول "بوكيت أميريكن"[(٣)] : « وفي القرن السابع عشر ظهر اللورد هربرت تشير بري[(٤)]، المتوفَّى عام ١٦٤٨م؛ ليمهد لدراسةِ مقارنة الأديان بشكلٍ علميّ »[(٥)].

وأثناء حديثه عن مصادر هذا العِلم عند المسلمين عَرَّضَ بها، وبأصحابِها، قائلا: «إنَّ مِن دواعي الأسف أنَّ هذه الكتابات مضلِّلة؛ لأنَّها مغالِطة ومُنحازة»! ويضيف قائلا: «

(١) عِلم مقارنة الأديان بين سؤالي المفهوم والموضوعية: ص٧٨، ٧٩.

(٢) راجع: عِلم مقارنة الأديان بين التأصيل والتغريب، ص١٧١، اليهودية. د/ شلبي، ص٢٩، ٣٠.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) مقارنة الأديان، ا. س بوكيت أميريكن، ص١٢، ترجمة: رنا سامي الخش، دار الرضوان، سوريا، حلب، نقلا عن: المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية، ص٤٨.

ولو أنَّ هذه المواضيع كُتبت مِن قِبَل كُتَّابٍ أوروبيين لَمَا وُجِدَ فيها مغالطة أو انحياز... إنَّ الأوروبيين اكتشفوا عظمةَ الديانات الشرقية ليس مِن أجل أنفسهم، بل - أيضا - من أجل الشرقيين، الذين لم يعرفوا القيمةَ العاليةَ لدِينهم كما عرفناها نحنُ »[1] !!



وفي نفس الـ سياق يقول "إميل بورنوف"[2]: « لن ينتهي القرنُ الحالي دون رؤية تأسيس علمٍ ما زالت عناصرُه متفرِّقة، ولم تعرفْه القرونُ الماضية - وربَّما لأوَّلِ مرَّةٍ - نُطلقُ عليه اسم عِلم الأديان »[3].

وهكذا تُصِرُّ النظرةُ الغربيةُ على أنَّ "عِلم مقارنة الأديان" صناعةٌ أوربيةٌ خالصةٌ، متناسين جهود علماء المسلمين في تأسيس هذا العِلم، وصياغة مناهجه!

ولن نخوضَ مع هؤلاء الموتورين في الحديث عن غايتهم من وراء الاهتمام بالدراسات الدينية للشعوب، والتي كانت في مجملها غاية استعمارية، بعيدة عن الموضوعية.. ولكنَّا سنبرهن - بالأدلة - على الأسبقية التاريخية لعُلماء الإسلام في خوض غمار البحث المقارن للأديان؛ لنؤكد مِن خلالها على أنَّ ما وصل إليه الغربُ في هذا الميدان ما هو إلاَّ تأثُّر بما جادت به قرائحُ المسلمين.

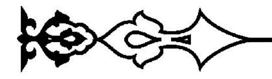
والسؤال الذي يطرح نفسَه هنا: هل كان هناك اهتمام بالأديان قبل مجيء الإسلام؟

كلُّ الدراساتِ تؤكِّدُ - بما لا يدع مجالاً للشك - على أنَّ البحثَ في عقائد الأمم المخالفة كان مُنعدمًا في الفكر الدينيّ الإنسانيّ القديم؛ وسبب ذلك التعصب السائد بين

(١) مقارنة الأديان، بوكيت أميريكن، ص١٤، نقلا عن: عِلم مقارنة الأديان بين التأصيل والتغريب، ص١٧٣.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) علم الأديان، إميل بورنوف: ص ٢٣، نقلا عن: المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية، ص٤٨.



الديانات، ونَظَر كلّ ديانةٍ إلى الأخرى باعتبارها هرطقات أو بدعا(١).

وحسبك أن تتذكر موقفَ اليهوديةِ من المسيحية ومن المسيح عليه السلام، وبالتالي موقف المسيحية من اليهودية واليهود، فاليهوديةُ لم تعترفْ بالمسيحية، واعتبرت المسيحَ ثائرا، استحقَّ – عندهم – الحُكم بالإعدام(٢)، والمسيحيةُ اعتبرت نفسَها وريثة اليهودية، ولم ترَ مع وجودها وجودا لليهودية، ومثالُ ذلك موقف الهندوسية من البوذية، والبوذية من الهندوسية. وهذا كان الاتجاه السائد آنذاك، ومِن هنا لم يُوجد عِلم "مقارنة الأديان" قبل الإسلام؛ لأنَّ المقارنةَ نتيجةٌ للتعدُّد، ولم يكن التعددُّ معترَفًا به عند أحد، ومِن ثَمَّ لم يُوجَدْ ما يترتب عليه، وهو المقارنة(٣).



في ظلِّ هذا الموقف الرافض للآخر جاء الإسلامُ حاملاً موقفَه المنفتحَ على الآخر، ويعودُ الفضل الأوَّل في ذلك إلى القرآن الكريم، كما سبق بيانُه(٤).

هذا من الناحية النظرية. أمَّا من الناحية العمليَّة فقد اهتم النبيُّ ﷺ بالتواصل مع أتباع الأديان الأخرى، ولم يزل في حوارهم وجِدالِهم على اختلاف مِلَلِهم ونِحَلِهم(٥) إلى أن لحق

---

(١) مدخل إلى الدراسة الدينية المقارنة. لخضر شايب، مجلة الإحياء، السنة الأولى، العدد الأول، ص١٢٣، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٢) راجع: الجدل اليهودي ضد المسيحية. د/ محمد الهواري، ص٧ وما بعدها، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٣م.

(٣) اليهودية: د/ أحمد شلبي، ص٢٤ بتصرف.

(٤) راجع: أثر القرآن الكريم في نشأة عِلم مقارنة الأديان، ص

(٥) راجع: زاد المعاد في هدي خير العباد. محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، ج٣/ ص٥٦١، مؤسسة الرسالة، بيروت/ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

ﷺ بالرفيق الأعلى، وكذلك أصحابُه من بعده (1).

وعلى إِثْر هذه المناقشات والمحاورات والمجادلات دخل بعضُ قادةِ اليهود والنَّصارى الإسلام.

بل طبَّق النبيُّ ﷺ أحكامَ القرآنِ فيما يخصُّ مبدأ حقِّ الوجود للديانات التوحيدية، ومِن ذلك عهوده ﷺ لأهل الأديان، فقد صالَحَ ﷺ مَلِكَ (أَيْلَة)(2) المسيحي، وأهلَ (جَرْبَاء)،

(1) من أمثلة ذلك:

أ- حوار النبي ﷺ مع عبد الله بن سلام. (راجع: صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿مَن كان عدوا لجبريل﴾ [البقرة : 97]، ج4/ ص1628، رقم4210، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ – 1987م).

ب- حواره ﷺ مع حَبرٍ من أحبار اليهود. (راجع: صحيح مسلم، كتاب: الحَيض، باب: بيان صفة مَنِيِّ الرجل والمرأة، وأنَّ الولد مخلوق من مائهما، ج1/ ص252، رقم315، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت).

جـ- مجادلته ﷺ لليهود حول دين إبراهيم عليه السلام وملَّته. (راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ج3/ ص217، دار الفكر، بيروت، 1405هـ).

د- محاورته ﷺ لوفد نصارى نجران. (راجع: السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ج1/ ص573 وما بعدها، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الثانية، 1375هـ – 1955م).

هـ- محاورته ﷺ لعدي بن حاتم الطَّائي، والتي انتهت بإسلامه وقومه. (راجع: السيرة النبوية لابن هشام، ج2/ ص578 وما بعدها).

(2) أَيْلَة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. (معجم ما استُعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، ج1/ ص216، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ).

و(أَذْرُح)(١) قبل رجوعه من (تبوك)(٢)، كما أعطى ﷺ كُتُبَ أمانٍ لليهود والنصارى، ومنها كتابُه لـ (أهل نجران(٣)) (٤).

وعلى هدي من موقفِ الإسلام في جانبيه النظري والعمليّ، انكب المسلمون على دراسة الأديان المعروفة في زمانهم، فاستوعبوا أصولَها، ووصفوا عقائدَها وشرائعَها، وأرّخوا لها، وقارنوا بينها، حتى صار بعضُهم أعرف بها من أهلها..

(١) جَرْبَاء، وأَذْرُح: قريتان بالشام، بينهما مسيرة ثلاث ليال. (معجم ما استُعجم من أسماء البلاد والمواضع: ج٢ص/ ٣٧٤، ج١/ ص١٣٠).

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام، ج٢/ ص ٥٢٥.

(٣) قدم نصارى (نجران) المدينةَ على رسول الله ﷺ، وكانوا ستين راكبًا، ودخلوا مسجده النبويّ، وعليهم ثيابُ الحِبَرَة [وهي ثيابٌ من كِتَّان، أو قطن، محبَّرة أي مزيَّنة. شرح النووي على صحيح مسلم ج١٤/ ص٥٦] وأرديةُ الحرير، مختَّمين بخواتم الذهب، فعرض عليهم النبيُّ ﷺ الإسلامَ، فامتنعوا، وقالوا: قد كنَّا مسلمين قبلك، فقال لهم ﷺ: « كذبتم؛ يمنعكم من الإسلام ثلاثٌ: عبادتكم الصَّليب، وأكلُكم لحم الخنزير، وزعمكم أنَّ للهِ ولدا »، فغضبوا، وقالوا للنبي ﷺ: إنْ كُنتَ صادقا فأَرِنَا عبداً يحيي الموتَى، ويشفي الأكمهَ والأبرصَ، ويخلق من الطين طيراً فينفخ فيها فتطير؟ فسكتَ ﷺ، فنزل الوحي بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ثم قال لهم ﷺ: « إنَّ الله أمرني إن لم تنقادوا للإسلام أن أُبَاهِلكم » أي: ندعوا ونجتهد في الدعاءِ باللعنةِ على الكاذب، فقالوا له: يا أبا القاسم، نرجع فننظر في أمرنا، ثم نأتيك، فخلا بعضُهم ببعض، وقالوا: والله، علمتم أنَّ الرجل نبيٌّ مُرسَل، ومَا لاعَنَ قومٌ قط إلاّ استُؤصِلوا، أي: أُخِذوا عن آخرهم، وإن أنتم أَبَيْتُم إلاّ دينكم فوادِعُوه، وصالحوه، وارجعوا إلى بلادكم. فصالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، صالحوه على ألف حُلَّةٍ في صَفَر، وألفٍ في رجب، ومع كلِّ حُلَّة أُوقيةٌ من الفضة، وكتب لهم ﷺ كتابًا، وقالوا له: أرسل معنا أمينًا، فأرسل معهم "أبا عبيدة عامر بن الجراح" رضي الله عنه. [راجع: السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون. علي بن إبراهيم الحلبي، ج٣/ ص٢٩٨- ٢٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ].

(٤) راجع نصّ هذا الكتاب في: زاد المعاد، ج٣/ ص٦٣٧.

يقول "ابن خِلّكان"(١) عن "كمـال الـدين بـن يونس الشافعي"(٢) : « وكان أهلُ الذِّمة يقرءون عليه التوراةَ والإنجيلَ، ويشـرحُ لهما هَذَيْنِ الكتابين شـرحًا يعترفون أنَّهم لا يَجِدونَ مَنْ يُوضحهما لهم مثله »(٣).



وبهذا كان للمسلمين السَّبقُ التاريخيُّ في إيجاد هذا العلم. وها هو "إيريك شارب" (Eric. J. Sharps) - أحد علماء الغرب المنصِفين - يعترف بأصالةِ عِلم مقارنة الأديان في الحقل الإسلامي، فيقول :

« إنَّ شرفَ كتابةِ أوَّل تاريخٍ للأديان في العالم يختصُّ به الشهرستانيّ، الذي - في رأيه - وَصَفَ، ونظَّم مذاهبَ وفِرق وفلسفات الأديان العشَرة المعروفة في العالم، اعتمادا على منهجٍ تاريخيٍّ سديدٍ، لم يستطع أيُّ كاتبٍ نصرانيٍّ في عصره أن يُنتج مثلَه »(٤).

كما أشـادت (دائرةُ المعارف البريطانية) بدراسـة المسـلمين للأديان، وعلَّلت ذلك بسـببين، أحدهما: سَـبْق المسـلمين ومعرفتهم بالأديان معرفةً تفوقُ المعرفةَ الأوروبية.

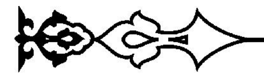
---

(١) أبـو العبـاس، أحمـد بـن محمـد بـن إبـراهيم بـن خِلِّكـان (٦٠٨ - ٦٨١هـ) : المـؤرخ الحجـة، والأديـب المـاهر، صـاحب (وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان)، وُلـد في إربـل (بـالقرب مـن الموصـل)، وانتقـل إلـى مصـر، فأقـام فيهـا مـدَّة، وتـولى نيابـة قضـائها. وسـافر إلـى دمشـق، فـولاَّه "الملـك الظـاهر" قضـاء الشـام. تـوفي بدمشـق. (راجـع: وفيـات الأعيـان، ج١/ ص١، معجـم الأعلام: ج١/ ص٢٢٠).

(٢) أبـو الفضـل، أحمـد ابـن الشـيخ الكبيـر كمـال الـدين موسـى الإربلـي، صـاحب (شـرح التنبيـه)، مـات في ربيـع الآخـر، سـنة اثنتـين وعشـرين وسـتمائة، وقـد اختصـر (الإحيـاءَ) مـرتين، ولـه محفوظات كثيرة، وذهن وقَّاد. (راجع: سِيَر أعلام النبلاء: ج٢٢/ ص٢٤٨- ٢٤٩).

(٣) وفيات الأعيان: ج٥/ ص ٣١٢ -٣١٣.

(٤) نقـلا عـن: مقارنـة الأديـان بـين التنظيـر والتطبيـق عنـد القاضـي عبـد الجبـار المعتزلـي، دراسـة تحليلية مقارنة. د/ حمدي عبد الله الشرقاوي، ص٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.



والآخر: أنَّ دراسة علماء الإسلام احتفظت بالوحي والعقل معا، وهو ما ينتفي وجودُه في كثيرٍ من الدراسات الغربية للأديان(١).

ولم يكن السَّبق التاريخي وحده ما نُسجله لعلماء المسلمين في هذا السياق، وإنما نُسجِّلُ لهم - كذلك - الريادةَ العلميةَ، تلك الريادة التي تميَّزت بطَابعين جديدين لم يَسْبِق إليهما أحدٌ:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

الطابع الأول: هو استقلالُ عِلم الأديان على أيديهم عن العلوم الأخرى، وشمولُه لجميع الأديان في عهدهم، بعد أنْ كان الحديثُ عن الأديانِ - في العصور السَّابقة - إمَّا مغمورًا في لُجَّةِ الأحاديثِ عن شؤون الحياة، أو مدفوعًا في تيار البحوث النفسية والفلسفية والجدلية، فكان لهم - بذلك - فضْلُ السَّبقِ في تدوينه عِلمًا مستقلا، قبل أن تعرفه أوروبا الحديثةُ بعشرة قرون.

وأمَّا الطابع الآخر: وهو ليس أقلّ نفاسةً مِن سابقه - فهو أنَّ المسلمين في وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، ولا على الأخبار المحتمِلةِ للصدقِ والكذب، ولا على العوائدِ والخُزعبلاتِ الشائعة، ولكنهم كانوا يستمدُّون أوصافهم لكلِّ ديانةٍ من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى، وهكذا بعد أن اختطُّوه عِلما مستقلا، اتَّخذوا له منهجًا علميا سليما(٢).

ويُضاف إلى هذين الطابعين طابع ثالث لم يُسبق إليه، وهو معرفتهم بالمناهج العلميَّة، وتطبيقها في دراستهم للأديان. ومن هذه المناهج(٣):

أ - المنهج التاريخي (الوصفي): وهو المنهج الذي يقدِّمُ أصحابُه الأديانَ دونَ رَدٍّ أو نقدٍ، ويترك

---

(١) نقلا عن المرجع السابق نفسه.

(٢) الدين (بحوثٌ ممهدة لدراسة تاريخ الأديان): ص٢١، ٢٢ بتصرف.

(٣) راجع تفصيل هذه المناهج في: علم المِلل ومناهج العلماء فيه، ص١٨٦ - ١٩١.

القارئَ ليميزَ بين الحقِّ والباطلِ، والهدى والضلال، ومن نماذج هذا الاتجاه (الشهرستاني) في كتابه [المِلَل والنِّحَل][(١)]، و(البيروني) في كتابه [تحقيق ما للهند من مقولة][(٢)].



ب ـ منهجَ التحليل والمقارنة: ويهدف إلى إبراز فضل الإسلام وسموّه على غيره من الأديان، ولعلَّ كتاب [الإعلام بمناقب الإسلام] خير أنموذج لهذا المنهج، فقد حدَّد (العامريُّ) فيه الأديانَ التي سيقارِنُ بينها، كما بيَّن موضوعَ المقارنة، ومنهجَها[(٣)]، ولا شكَّ أنَّ مِثل هذه المقارنات أضفت على دراسة المسلمين للأديان عُمقًا، وأتاحت لهم معرفةً واسعةً بالمِلَل والعقائد، وما بينها من اختلافٍ أو اتفاق، وتأثيرٍ أو تأثُّر، وقُرْبٍ من الحقِّ أو بُعْدٍ عنه.

جـ ـ المنهج التحليلي النقدي: ولم تكن دراسةُ المسلمين للأديان قاصرةً على التعريف والوصف، بل كانت تتَّسِمُ – كذلك – بالتحليل والنقد المبنيّان على الأدلة والحُجَجِ والبراهين. ومن ذلك منهج (ابن حَزْم) في كتابه المَاتِع [الفِصَل في المِلَلِ والأهواء والنِّحَل]؛ فقد خصَّص مساحةً كبيرةً من كتابه هذا لدراسة الأديان، وتناولها بتحليلٍ نقديٍّ منهجيٍّ، خاصةً فيما يتعلق بكُتب أهل الكتاب، حيث نقدَها سندا ومتنا، ممَّا حَدَا ببعض الباحثين الغربيين إلى اعتباره مؤسس "عِلم مقارنة الأديان" بلا منازع[(٤)].

د ـ منهجُ الحوار والجدال: وكان هو المنهجُ السائد في دراساتِ كثيرٍ من المسلمين للأديان، بل كان في مقدّمة المناهج؛ فأغلبُ مَن درس الأديانَ استعان به في مجادلةِ أصحابِ المِلل

---

(١) راجع: المِلل والنِّحَل، للشهرستاني، ج١/ ص١٤.

(٢) راجع: تحقيق ما للهند من مقولةٍ مقبولةٍ في العقل أو مرذولة. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، ص٥، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م.

(٣) راجع التفصيل في المطلب الثاني، من المبحث الثاني من هذا البحث.

(٤) راجع: ابن حزم ومنهجه في دارسة الأديان. د/ محمود علي حماية، ص١٥، ١٥١، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

المخالفة، سواءً على صفحات الكُتب، أو في المناظرات الحيَّة(١).

هـ- المنهج الشامل في دراسة الأديان: وهو المنهج الذي يشمل جميعَ المناهج السابقة، حيث يهتمُّ بعرض ما يتناوله بالدراسةِ عرضا أمينا، مع المناقشةِ، والمقارنة، والتحليل النقدي، وردّ الباطل، وقد يتمُّ ذلك في قالبِ حوارٍ أو مناظرة. ولعلَّ خير أنموذج لهذا المنهج هو كتاب [الجواب الصحيح لمَن بدَّل دينَ المسيح] لشيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله –.

رابعا : اختفاء عِلم مقارنة الأديان بين المسلمين واحتفاء الغرب به

وفي عصـور الضـعف التي ألَمَّتْ بالمسـلمين أَفَلَ نَجْمُ عِلم مقارنة الأديان، واختفى لأسبابٍ عديدة، أوردها د/ أحمد شلبي(٢)، في كتابه عن "اليهودية" نلخصها في الآتي(٣) :

١- ازدحام قصور الخلفاء بالأطباء والوزراء من غير المسلمين، وبسبب نفوذ هؤلاء ضَعُفَ صوتُ "مقارنة الأديان"، الذي كان يكشف عَوار عقائدهم.

٢- الحروب الصليبية للشرق الإسلامي، فخفت صوتُ المجادلة تحت صليل السيوف.

٣- تعصـب أكثر الفقهاء لمذاهبهم الفقهية، وقِلَّة – أو انعدام – اطلاعهم على المذاهب الأخرى، ومِن باب أولَى اطلاعهم على الأديان.

---

(١) مقارنة الأديان بين التنظير والتطبيق: ص٩٥.

(٢) أحمد جاب الله شلبي (١٩١٥ – ٢٠٠٠م) : وُلد بإحدى قرى محافظة الشرقية بمصر، وتخرَّج بـ (دار العلوم) بالقاهرة، سنة ١٩٤٥م، وحصل على الماجستير من جامعة لندن، والدكتوراه من جامعة كمبردج، عمل مدرسا بدار العلوم، ومديرا للمركز الثقافي المصري بإندونيسيا، وأستاذا ورئيسا لقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بدار العلوم سنة ١٩٦١م. كان عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والمجلس الأعلى للثقافة، والمركز العالمي للسيرة والسنة، وعضوا باليونسكو. له عدد من الكتب الإسلامية، أبرزها: "موسوعة التاريخ الإسلامي"، و"موسوعة النظم والحضارة الإسلامية"، و"كيف تكتب بحثا أو رسالة"، و"مقارنة الأديان، أربعة أجزاء". [نقلا عن: /https://ar.wikipedia.org بتاريخ ١٠/ ٢/ ٢٠١٩م].

(٣) اليهودية، د/ أحمد شلبي: ص٢٨، ٢٩ بتصرف.

٤- رفض بعض المسلمين لـــ(عِلم مقارنة الأديان)، ومهاجمته؛ باعتبار أنَّ الإسلام - في نظرهم - لا يقارَنُ بسواه.

وفي ظلِّ هذا الضعف ابتدأ الغربُ اهتمامَه بهذا العِلم، فظهرت مقدماتُه مع بداية العصر اللاديني في أوربا - القرن السَّابع عشر الميلادي - ورغم البدايات المبكرِّة لهذا العِلم إلا أنَّه لم تظهر دراساتٌ دينيةٌ - بالمعنى الحقيقيّ للمصطلح مِن جهةٍ، وذات قِيمة علميّة عالية مِن جهةٍ ثانية - إلاَّ في القرن العشرين؛ والسبب في ذلك هو انصرافُ الفلاسفة وعلماء الإنسانيات - طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر - إلى محاولةِ هدم الصَّرح العقيدي المسيحي الكاثوليكي، بوسائلَ متعددة كان منها التعريفُ بالديانات المخالِفة ولا سيَّما الإسلام. ولمَّا كان هذا الجهدُ (غائيّا) أي غير مقصودٍ لذاته كانت تلك المؤلفات أقرب إلى (تاريخ الأديان) منها إلى (مقارنة الأديان) بكلِّ ما يفرضه الأخيرُ من تميّزٍ وخصوصية(١).



ويؤكد مرسيا إلياد(٢) (Mircea Eliade) صاحب [الموسوعة الدينية] أنَّ مصطلح "مقارنة الأديان" لم يكن حاضراً في الأدبيات المعرفية لَدَى الأوروبيين في العصور القديمة، وأنه لم يظهر في كتابات الباحثين الأوروبيين حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، إذ أطلقها لأوّل مرَّة (ماكس مولر)(٣) بقوله: لماذا نتردد عن تطبيق منهج مقارن لدراسة

---

(١) مدخل إلى الدراسة الدينية المقارنة : ص١٢٤، ١٢٥ بتصرف.

(٢) مرسيا إلياد (١٩٠٧ - ١٩٨٦م): كاتب ومؤرخ أديان، وفيلسوف وروائي روماني، شغل كرسي أستاذ تاريخ الأديان في جامعة شيكاغو، عمل كملحق ثقافي للمملكة المتحدة والبرتغال، وكان على معرفة واسعة باللغات. من أشهر مؤلفاته: "المقدس والمدنس"، و"تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية"، و"البحث عن التاريخ والمعنى في الدين". [نقلا عن: /https://ar.wikipedia.org بتاريخ ١٠/ ٢/ ٢٠١٩م].

(٣) فريدريك ماكس مولر (١٨٢٣ - ١٩٠٠م): عالم ألماني المولد، اهتم بصفة خاصة باللغة

الدين؟!(١).

ومع مطلع القرن العشـرين أضـحى هذا العلمُ في الفكر الغربي حقلا علميًّا مسـتقلا، برز فيه علماءُ، وظهرتْ دراساتٌ وأبحاثٌ، ووُضعت دوائرُ معارف كاملة عن الأديان، بالإضافة إلى إنشاء أقسامٍ لهذا العِلم في الجامعات الأوربية المختلفة.

ولئن برز هذا العلم في الغرب، وذاع صَيْتُه هناك، فإنَّ ذلك لا يعني انعدامَ أُصوله الإسلامية، وأسبقية تجذُّره في هذه الثقافة، بدءً من نصوصه التأسيسية، وانتهاءً إلى اجتهادات علمائها في هذا المجال.

(السنسـكريتية) الهندية القديمـة، أسـهم في الدراسـة المقارنـة في مجـالات اللغـة والـدين وعلـم الأسـاطير. عمـل أسـتاذا للغـات الأوربيـة الحديثـة بجامعـة أكسـفورد (١٨٥٤ – ١٨٦٨م)، وكـان أهـم أعمالـه أوَّل إصـدار باللغـة الإنجليزيـة مـن (ريـك – فيـدا) وهـو أقـدم كتـاب هندوسـي مقـدَّس، كمـا حـرَّر (كُتـب الشـرق المقدَّسـة) الـذي يضـم – في ٥١ مجلـدا – ترجمـات دارسـين مختلفـين لنصـوص كـل الـديانات الآسـيوية الرئيسـة، فيمـا عـدا النصـرانية واليهوديـة، ونُشـر عـام ١٨٧٥م. (الموسـوعة العربيـة العالميـة، مـج٢٤/ ص٤٧٥، ٤٧٦، مؤسسـة أعمـال الموسـوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م).

(١) نقـلا عـن: عِلـم مقارنـة الأديـان بـين سـؤالي المفهـوم والموضـوعية، ص٧٦، مقارنـة الأديـان مفهومه وموضوعه وطبيعته: ص٤٠ – ٤١.

المطلب الثالث

دوافع اهتمام المسلمين بعِلم مقارنة الأديان

سبق القولُ بأنَّ الدراسةَ الدينيةَ المقارنةَ كانت لَوْنًا من ألوانِ المعرفةِ التي حَازَ المسلمون قَصَبَ السَّبقِ في إنشائِها، وإنمائِها، وتطويرِها.



وقد حفَّزهم على هذا الاهتمام عِدَّةُ دوافع، يمكن إجمالها في الآتي:

أولا : اهتمام القرآن الكريم بالأديان

شَغَلَ ذِكْرُ الأديانِ مساحةً واسعةً من كتابِ الله – تعالى –، وهذا أمرٌ يلحظُهُ كلُّ قارئٍ للقرآن الكريم ولو بصورةٍ عابرة؛ فهذه آيةٌ واحدةٌ جُمِعَتْ فيها سِتَّةُ أديان، وهي قولُ اللهِ – تبارك وتعالى –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(١).

فهذه الآيةُ – كما نرى – تفتحُ آفاقًا للبحث في هذه الأديان السّتة، من حيثُ نشأتها التاريخية، وما تشتمل عليه من عقائد وتشريعات، وكذلك تفتح أمامَ العقل بابًا لإجراءِ مقارنةٍ بين هذه الأديان؛ لمعرفةِ القواسم المشتركة، وأوجه الاختلاف(٢).

ولا عجبَ من اهتمام القرآنِ بالأديان؛ فقد أُنزل مُصدِّقا للكُتُبِ السَّابقة، ومُهيمِنًا عليها؛ بوصفه ختام الكُتب، والمرجع الأخير في شرائع الناس ونظام حياتهم. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾(٣).

ومن مظاهر اهتمام القرآن الكريم بالأديان تناوله لِما يُسمَّى بـ (قضايا المنهج) ممَّا يمكن أن نعتبره أصولاً عامةً تُحدِّدُ الإطارَ المنهجيَّ للبحث العلمي في مجال الأديان، ولعلَّ

---

(١) سورة الحج: الآية ١٧.

(٢) عِلم مقارنة الأديان، د/ حسن الباش: ص٢٣.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٤٨.

مِن أبرز الآيات القرآنية في هذا الإطار – على وجه الخصــوص – قولُ الله تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَـلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1]، وقوله – سـبحانه – : ﴿ أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[2] فإذا كانت الآيةُ الأولى تشكِّل قاعدةً صُلبةً لبناءِ منهجِ المقارنةِ والجدلِ المحمود، فإنَّ الآيةَ الثانيةَ تمثِّلُ أساسًا قويًا لبناءِ مناهج البحث التاريخي والأثري، وما يُعرف اليوم بـ (عِلم الأنثروبولوجيا)[3].[4].



كذلك حَفَلَ القرآنُ الكريمُ بالعديدِ من الإشارات القرآنية حول الأديان، والتي كان لها أثرُها البالغ في توجيه الدراسات الإسلامية نحو هذا الميدان، ومِن هذه الإشارات[5] :

١ – نشأة الأديان – وبالأخص الإسلام – على الأرض.

٢ – بنية الدِّين، من خلال عَرْضِه لعقائد الأنبياء وشرائعهم.

٣ – الانحرافات التي أصابت التوحيدَ، وكان لها أثر في ظهور الأديان.

٤ – الكُتُب السماوية، وما أصابها من تحريف.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٤.

(٢) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٣) الأنثروبولوجيا Anthropology : كلمة مكوَّنة من مقطعين: الأول (أنثروبو) أي الإنسان، والثاني (لوجي) أي العِلم أو الدراسة، ومعنى الأنثروبولوجيا: عِلم الإنسان، أو علم دراسة الإنسان. [مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، د/ محمد الجوهري، وآخرون، ص١٨، القاهرة، ٢٠٠٧م].

(٤) في علم الدين المقارن (مقالات في المنهج) : ص١٦٥.

(٥) راجع: أُسس المنهج الإسلامي في دراسة تاريخ الأديان، ص٨٨ – ٩١، عِلم مقارنة الأديان، د/ حسن الباش: ص٢٩، ٣٠.



٥- أنماط المتدينين، مِن خلال عَرْضِه لأقوام الأنبياء ومواقفهم.

٦- مقاييس الإيمان والكُفر.

٧- مفاهيم: الألوهية، والنبوة، والجنّ، والإنس، والملائكة، والموت ...

٨- الأدوار التاريخية والحضارية التي يمكن للدِّين أن يؤديَها.

٩- الوقائع التاريخية المرتبطة بالعقيدة.

١٠- السُّنن التي تحكُم حركةَ الأديان، والإنسان، والمجتمعات.

١١- قواعد التفكير السليم.

١٢- مبادئ نقد الأخبار والمرويات والوثائق.



ثانيا: طبيعة الرسالة الإسلامية

من طبيعة الإسلام أنَّه رسالة (عالميَّة) في أساسها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١)، وقال النبي ﷺ: « .... وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً »(٢)، وفي رواية: « وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ »(٣).

وعالميةُ الإسلام تقتضي من المسلمين نَشْرَ دعوته في ربوعِ العالم، والانفتاح على الآخر بكلِّ أبعاده، والاهتمام بأديان الأرض دراسةً وتحليلا ونقدا.

وهو ما لاحظه المفكِّرُ البريطانيُّ (برنارد شو)(٤)، وسجَّله قائلا: « والإسلامُ دينُ كلِّ

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب: التيمم، باب: قول الله تعالى: ﴿ فلم تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[النساء: ٤٣]، ج١/ ص١٢٨، رقم ٣٢٨.

(٣) صحيح مسلم: كتاب: المساجد مواضع الصلاة، باب: جُعلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا، ج١/ ص٣٧٠، رقم ٥٢١.

(٤) جورج برنارد شو (١٨٥٦-١٩٥٠م) : كاتب مسرحي، وناقد، أيرلندي المولد، نال جائزة

الأجناس؛ إذ ضمَّ – من ساعته الأولَى – الحبشيَّ، والفارسيَّ، والرُّوميَّ، كما ضمَّ مجموعاتٍ من النَّصارى، واليهود، والوثنيين، وانصهر الجميعُ في بوتقةٍ واحدةٍ دُونَ فُروقٍ على الإطلاق، ولم يحس أيٌّ منهم أنَّه غريبٌ عن هذا الدِّين »(١).

وهذا – أيضـا – ما سـطَّرته كُتبُ التاريخ عن المسـلمين في المناقشـات العلميَّةِ التي سجَّلوها، والحواراتِ الفكريَّةِ التي خاضوها على قاعدةٍ من الاحترامِ المتبادل، وتحتَ رعايةِ الخلفاءِ والسَّـلاطين(٢)، ولم يكن هذا إلاَّ تطبيقا عمليّا للتعليمات القرآنية، واتِّباعا رشـيدا للأسوةِ النبوية (٣).

ثالثا :  وجوب طرح الرؤية الإسلامية

وتستلزم عالمية الإسلام ضرورة طرح الرؤية الإسلامية كبديلٍ للرّؤَى الأخرى، سواء

نوبـل لـلأدب عـام ١٩٢٥م. كتـب خـلال حياتـه العمليـة أكثـر مـن خمسـين مسـرحية، معظمهـا مـن نـوع الهـزل، وكـان الحـوار فيهـا عـن الأخلاقيـات مُهمّـا، ومـن هـذه المسـرحيات: "بيـوت الأرامـل"، و"الرجـل والسـلاح"، و"الرجـل والرجـل الخـارق"، و"منـزل القلـوب المحطمة". (الموسوعة العربية العالمية، مج١٤/ ص٢٨٣، ٢٨٤).

(١) نقـلا عـن: عالميـة الإسـلام، د/ أحمـد شـلبي، ص١٤، سلسـلة (قضـايا إسـلامية)، العـدد١١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، المحرم، ١٤١٧هـ - مايو ١٩٩٦م.

(٢) راجـع – علـى سـبيل المثـال – : منـاظرة كلثـوم بـن عمـرو العتـابي المعتزلـي، لابـن فـروة النصـراني، في (عُيُـون المنـاظرات، أبـو علـي عمـر السـكوني، ص٢١٣، تحقيـق: سـعد غـراب، منشـورات الجامعـة التونسـية، ١٩٧٦م)، منـاظرة القاضـي أبـو بكـر البـاقِلاَّني لمَلِـك الـروم الإمبراطـور "باسـيليوس الثـاني" بتوجيـه مـن "عَضُـد الدَّولـة البُـويهيّ"، في: (منـاظرة الإمـام البـاقِلاَّنيِّ للنَّصـارى: دراسـة عقَديَّـة، د/ صـلاح محمـود البـاجوري، حوليـة كليـة الـدعوة الإسلامية القاهرة، جامعة الأزهر، العدد٢٩، الجزء ١).

(٣) في عِلم الدين المقارن، ص١٦٢، ١٦٣.

أكانت تلك الرؤى دينية أو فلسفية؛ ذلك لأنَّ الرؤيةَ الإسلامية هي الرؤيةُ المتوازِنة، التي تحفظُ للإنسانِ كرامتَه، وللكونِ توازُنَه، وللمجتمعاتِ الإنسانيةِ المختلفةِ سلامَها وأمْنَها واستقرارها[1].



ومن البدهيات العقلية أنَّ هذا الطرحَ الإسلاميَّ يقتضي خطابا مناسبا، لا تُحققه - كما ينبغي - إلاَّ معرفةُ الرؤي البديلة التي تحكُم فِكْرَ الآخر، وتسيطر على مواقفه، وتؤثِّر في اختياراته، معرفةً دقيقةً تسمح باختراق عقله، والنفوذ إلى وُجدانه، والتأثير في عُمقه. ومِن هنا تأتي ضرورةُ الاهتمام بما يعتقده الآخرُ في أولويات العمل الإسلامي، وهي ضرورةٌ متجددةٌ بتجدُّد التيارات الدينية، والمذاهب الفلسفية المنافِسة للإسلام، وبالتالي فهي ضرورةٌ مستمرة إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها[2].

رابعا: احتكاك الإسلام بالمجتمعات الدينية الأخرى

وهو احتكاك بدأ مع نزول الوحي، واستمر على مَدَى تاريخِ الإسلام الطويل، ولا يزالُ مستمرا إلى يومنا هذا، فقد انتشر الإسلامُ بالفتح المبين، واتَّسعتْ رقعةُ الدولة الإسلامية لتشمل أُممًا متعددة، ذات ديانات مختلفة، فاقتضت ضروراتُ الواقع مِن علماء المسلمين معرفة حقائق تلك الأديان، ومبانيها العقدية، وأصولها المقرَّرة عند أتباعها؛ رجاءَ تنظيم العلاقات الإنسانية مع المؤمنين بها، ثم الدخول معهم في حوارٍ إيمانيٍّ، قُوامه الدعوةُ إلى اللهِ - تعالى - بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجِدال الحَسَن الذي لا يُراد به المِراء، بل الكشف

---

(١) راجع شهادات الغرب للإسلام، في كتاب: قالوا عن الإسلام. د/ عماد الدين خليل، ص١٤٩ – ٢٦٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٢) في عِلم الدين المقارن: ص١٧١.

عن الحقيقةِ أوَّلا وآخرًا[١].

يقول – تعالى – في مُحكَمِ التنزيل: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٢].

ويقول – جل شأنه – : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٣].

خامسا: التعددية الدينية

وتتبع هذا الذي قُلنَاهُ عن الرؤى البديلة – وربما كنتيجةٍ منطقيةٍ له – قضـيةُ (التعددية الدينية)[٤] التي شاعت وذَاعَتْ، وملأت الدنيا، وشغلت الناسَ.

والحقيقةُ أنَّ تعدُّد الأديان لم يكن – يومًا ما – مشـكلةً بالنسـبةِ للمسـلمين؛ فالقرآن الكريم يعترف بالوجود الفعليِّ للأديان المختلفة، بمعنى أنَّه يؤمن بواقعيةِ التَّعدد الذي لا

(١) راجع: عِلم مقارنة الأديان، د/ حسن الباش، ص٢٣، النصرانية (نشأتها التاريخية وأصول عقائدها)، د/ عرفان عبد الحميد فتاح، ص٥ – ٦، دار عمَّار للنشر والتوزيع، عمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٤) يقصد بالتعددية الدينية: الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء الديني في مجتمعٍ واحد أو دولةٍ تضم مجتمعا أو أكثر، واحترام هذا التنوع، وقبول ما يترتب عليه من اختلافٍ أو خلاف في العقائد، وإيجاد صِيغ ملائمة للتعبير عن ذلك بشكل يحُول دونَ صراعٍ ديني يهددُ سلامةَ المجتمع. (التعددية الدينية في ظل الحضارة العربية الإسلامية. د/ أحمد صدقي الدجاني، مجلة شؤون عربية، العدد ٦١، ص٩٩، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، مارس، ١٩٩٠م).

يريد محوَه بالقوة ولا الإكراه؛ لأنَّه ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾(١)، بل يجعل هذا الاختلاف والتنوع سُنَّةً مرْعيَّــةً في الخَلق؛ لحِكَمٍ عنده - سبحانه - ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾(٢)، وعلى الجماعةِ أن تستثمر تنوعاتها، وتستوعبَ اختلافاتها، وتبني حضــارتها على أســاسٍ من التعاون المتبادل ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٣).(٤).

وبعيدا عن هذا الأســاس النظري الإســلامي لممارســة (التعددية الدينية) فإنَّ القراءةَ التاريخيةَ تؤكِّدُ أنَّ الإسلامَ تعامل مع قضيةِ التعدُّد بشكلٍ إيجابيٍّ منذ اللحظة الأولى.. وقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(٥) ظلَّ من مُحْكَماتِ القرآنِ التي تُوجِّه مواقف المجتمعات الإسلامية، وكان المجتمعُ الإسلاميُّ الأوَّلُ - الذي أسَّسه الرسولُ ﷺ بعد هجرته إلى المدينة - مجتمعا تعدديا، يعترفُ بالآخر اعترافًا يقومُ على مبدأ (المواطنة) و(حقوق الإنسان)، وهو ما ظهر بوضوحٍ في (دستور المدينة)(٦).

وعلى طول التاريخ الإسـلامي كان المجتمعُ المسـلمُ مجتمعًا يعترف بالتعدُّد، ويؤمنُ بالتعايشِ السِّــلمي بين الجماعات الدينية المختلفة في الدول الإســلامية، ويمُدُّ يدَ الاحترامِ المتبادَل إليها، ولم يشهد التاريخُ الإنسانيُّ مجتمعًا اهتمَّ - في دستوره وقوانينه - بقضيةِ التعدد

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٦.

(٢) سورة هود: الآية ١١٨ بتمامها، وجزء من الآية ١١٩.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٢.

(٤) التعدديــة الدينيــة مــن وجهــة نظــر إســلامية، د/ حســن الشــافعي، ص١٠ - ١٢ بتصــرف، سـنة ٢٠١٦م، بدون طبعة أو دار نشر.

(٥) سورة الكافرون: الآية ٦.

(٦) راجع مواد هذا الدستور في: السيرة النبوية لابن هشام، ج١/ ص ٥٠١ وما بعدها.

والتعايش مثل المجتمع الإسلامي، ولم يعرف التاريخُ أقليَّةً - دينيةً أو عِرقيةً - أَمِنَتْ على نفسِها، ومالها، ودينها، وثقافتها كما عرفها في المجتمعِ الإسلاميِّ، ولعل مفهوم (أهل الذِّمة)[1] في الإسلام هو أوَّلُ نظرةٍ جِدِّيَّةٍ إلى الأقليات وحقوقهم في تاريخ البشرية كلِّها[2].

يقول رودريك[3] : « لقد أعجبني كثيراً موقفُ الإسلامِ من الأديانِ الأخرى؛ حيث نجد أنَّ الإسلامَ ينظر إلى الأديان الكبرى في العالم بأنَّ لها أصلا سماويا واحدا، وهذا نوعٌ من الاعتراف والتقدير للأديان الأخرى، وهو أقربُ إلى المنطق والتسامح من الموقف النصراني الذي يَصِفُ كافَّةَ الديانات الأخرى - غير النصرانية - بالوثنية »[4].

ولا شكَّ أنَّ هذا التسامح الديني الذي عُرف به المسلمون قد هيَّأ الأجواءَ لنشأة عِلم "مقارنة الأديان"، وهو ما اعترف به أعداءُ الإسلام أنفسهم.

يقول آدم متز[5] : « وكان تسامحُ المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى - وهو

---

(١) أهل الذِّمَّة: هم رعايا الدّولة الإسلامية مِن غير المُسلمين، والذين تعاقدوا مع المسلمين على إعطاءِ الجزية، والالتزام بشروطٍ معيّنة، في مقابل بَقَائهم على دينهم، وتوفير الأمن والحماية لهم. (راجع التفصيل في: أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن قيِّم الجوزية، تحقيق: يوسف البكري، شاكر العاروري. رمادي للنشر، الدَّمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ).

(٢) التعددية الدينية في ظل الحضارة العربية الإسلامية : ص١٠٠، ١٠١.

(٣) بيجي رودريك: شاب هندي، نشأ في ظل الاستعمار البريطاني للهند، كان نصرانيا، ثم أسلم في منتصف الأربعينات رغم التربية التبشيرية التي تلقاها على يد النصارى الذين كانوا منتشرين في شبه القارة الهندية. (نقلا عن: قالوا عن الإسلام، هامش ص١٨٣).

(٤) قالوا عن الإسلام: ص١٨٣.

(٥) آدم مِتْز (١٨٦٩ - ١٩١٧م) : مستشرق ألماني، استقر في (بازل) بسويسرا، وكان مهتما بالأدب العربي في القرن الرابع الهجري وما تلاه. (راجع: موسوعة المستشرقين، د/ عبد

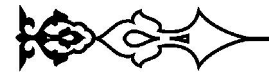
التسامح الذي لم يُسمَعْ بمثله في العصور الوسطى - سببًا في أنْ لَحِقَ بمباحث "عِلم الكلام" شيءٌ لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو عِلم مقارنة الأديان »(١).

***

كل هذه الدوافع مجتمِعة جعلت مِن أُولَى واجبات المسلمين الاهتمام بأديان الأرض، دراسةً وتحليلا ونقدا. وهو ما قام به طائفةٌ من علماء المسلمين، وبذلوا في سبيله أنفسَ أوقاتِهم، وغايةَ جهودهم.

الرحمن بدوي، ص٥٤٤، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة، يوليو ١٩٩٣م).

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. آدم متز، نقَله إلى العربية: د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، مج١/ ص٣٨٤، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة.





المطلب الرابع
أهمية عِلم مقارنة الأديان

عِلم "مقارنة الأديان" من العلوم التي تحتاجها الإنسـانيةُ في هذا العصـر، مثلما كان حاجةً في عصورٍ خَلَتْ. ونستطيع أن نوجِزَ أهميةَ هذا العِلم في النقاط الآتية:

أولا : يُقدِّم لنا عِلْمُ "مقارنة الأديان" معرفةً بنشـأةِ كلِّ دينٍ وتاريخه، وبمسـيرةِ التحول والتطور الدينيين لَدَى الشعوب، ومن خلاله نُدرك عمليةَ التأثُّر والتأثير في العقائد الوضعيَّة، وندرك – أيضا – أُحاديةَ المصدر في بعض الأديان(١).

ثانيا : المقارنة بين الأديان تكشـفُ عن جوانب الاتفاق، ومواضـع الاختلاف بينها، الأمر الذي يستفيد منه الباحثون في مجالاتٍ أُخرى تهتم بدراسـة الأديان، وعلى رأسـها (فلسـفة الدِّين)(٢)، و(عِلم الاجتماع الديني)(٣).(٤)

ثالثا: أضـحت اليومَ دراسـة المِلل والنِّحل، أو تاريخ الأديان وتطورها، أو دراسـة خريطة الأديان والعقائد للعالم المعاصـر – ضـرورةً محتَّمةً تفرضـها تلك الثورةُ التي حققتها تِقنية

---

(١) راجع: علم مقارنة الأديان، د/ حسن الباش، ص١٠، اليهودية، د/ أحمد شلبي، ص٣٢.

(٢) فلسـفة الـدِّين (Philosophy Of Religion): هـي الدراسـةُ العقليـةُ للمعـاني وللقضـايا التـي تطرحهـا العقائـدُ الدينيـةُ، وتفسـيراتها للظـواهر الطبيعيـة، ومـا وراء الطبيعـة، مثـل: وجـود الله، وقضـايا الخَلـق، والمـوت، والمصـير. (مـدخل جديـد إلـى فلسـفة الـدِّين. د/ مصـطفى النشار، ص٥٤، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠١٥م).

(٣) عِلـم الاجتمـاع الـديني: هـو أحـد فـروع "عِلـم الاجتمـاع الخـاص"، ويهـدف إلـى دراسـة الظـواهر الاجتماعيـة في ميـدان الـدِّين، والعلاقـات الاجتماعيـة للـدِّين في الـداخل والخـارج. (عِلـم الاجتمـاع الـديني. د/ عبـد الله الخريجـي، سلسـلة دراسـات في المجتمـع العربـي السـعودي، الكتاب التاسع. رامتان، جدَّة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ).

(٤) علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام: ص٢٢، ٢٣.

الاتصالات، بحيث أصبح العالم وكأنه قرية صغيرة، واقتربت الشعوب، وتلاصقت الأمم، وفُرِض الحوار على الإنسان فرضا، والحوار يستلزم الفهمَ، والدرسَ، والنظرَ، والفحصَ في كلِّ المِلل والنِّحَل بموضوعيةٍ ونزاهة، وبُعد عن التعصب والانغلاق والتقوقُع(١).

رابعا : أنَّ دراســة الأديان المختلفة، والوقوف على ما أصــابها من تحريفٍ أو تبديل، يقدِّم للمسلمين معرفةً قيِّمةً بحقيقةِ الإسلام، وعظمةِ كتابــه، ووضوحِ عقائده، وكمال شرائِعه، وعُلوِّ آدابِه.. ومِن ثَمَّ يحرصُ المسلمُ على المحافظةِ على دِينه، والتمسك بشريعته، والذَّوْد عنها. يقول تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾(٢).(٣)

خامسا: لِعلم مقارنة الأديان دورٌ كبير في التعريفِ بالإسلام، وردِّ الحملات المشبوهة عنه، لاسيَّما ونحنُ نعيشُ ثورةً في الاتصال، وطفرةً في نقل المعلومات والأفكار، وما استتبع ذلك من محاولاتٍ عديدةٍ للنَّيْل من الإسلام، واتهامه بالإرهاب والرجعيَّة والتَّخلف!

سادسا : أنَّ الدراسةَ الواعيةَ - مِن قِبَلِ الدعاةِ، والباحثين الإسلاميين - للخريطةِ العقديَّة للعالَمِ المعاصرِ، والإلمام العميق بأسرار هذه الدِّياناتِ، والمذاهبِ، والنِّحَلِ، والاطلاع عَلى مكامنِ ضعفِها، وتناقُضِها، وتهافُتِها.. لا شَكَّ أنَّ كلَّ هذا يدفعُ حركةَ الدعوةِ إلى اللهِ (عَلَى بصيرةٍ)، ويحركُها من وجوهٍ متعددةٍ، ليس المقامُ مقام تفصيلها(٤).

---

(١) دراسات في الملل والنحل، د/ الشرقاوي: ص٨- ٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٣) راجع: الميزان في مقارنة الأديان، حقائق ووثائق. المستشار/ محمد عزت الطهطاوي، ص١٠، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٤) الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل. أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي. تقديم وتحقيق وتعليق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، ص٢١- ٢٢، دار الجيل/ بيروت، مكتبة

سابعا: لِعِلْمِ مقارنة الأديان دورٌ مهمٌ في ردِّ هجمات "التنصـير"(١) على البلاد الإسـلامية من جانب، ومن جانبٍ آخرَ تقديم الإسلام لغير المسلمين في صورةٍ مقارنةٍ مع ما يعتقدونه؛ ممَّا يثيرُ الشكوكَ في عقائدهم، ويفتحُ الطريقَ أمامهم للتعرف على الإسلامِ وتقبُّله(٢).

ثامنا: يتداخل علمُ "مقارنة الأديان" مع غيره من العلوم، ومنها "عِلمُ التاريخ"، الذي يساعد على فهم الظواهر الدينية، ومعرفة نشأتها، والقرائن المصاحبة لظهورها، كما يحتاج علمُ "مقارنة الأديان" إلى "عِلم الجغرافيا"، ولا سـيما "الجغرافيا الدينية" التي تدرس توزع الأديان في بيئةٍ جغرافيةٍ محدَّدةٍ، لها امتداداتها وتأثيراتها، ويستفيد عِلم مقارنة الأديان – كذلك – من المعطيات الدينية لـ "عِلم الأنثروبولوجيا"(٣) الذي يدرس العادات والتقاليد، والأساطير الدينية، ولا يمكن أن نغفل عن استفادة عِلم "مقارنة الأديان" من معطيات عِلم الآثار (الأركيولوجيا)(٤)، خاصةً عند ترجمتهم للرَّقْم والكتابات التي اكتشفوها منقوشةً في حضاراتِ الأمم قديما(٥).

الزهراء/ القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(١) يُقصد بالتنصير: الدعوة إلى النصرانية، ومحاولة نشرها في أنحاء العالم بالوسائل والأساليب المختلفة. (راجع: النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير؟ دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات، د/ محمد عثمان صالح، ص٣١، مكتبة ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ).

(٢) راجع: عِلم مقارنة الأديان بين التأصيل والتغريب، ص١٦٩، البُعد الحضاري الدولي في عِلم مقارنة الأديان. د/ عبد القادر بخوش، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد ٧، ص٣٢، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ٢٠١٢م.

(٣) سبق التعريف به: ص

(٤) كلمة الأركيولوجيا (Archaeology) مشتقة من الكلمتين اليونانيتين: (Archaios) وتعني قديم أو عتيق، و(Logos) وتعني علم أو دراسة، ومن هنا أتى تفسير (أركيولوجيا) بأنه: العِلم الذي يقوم بدراسة المخلَّفات العتيقة. (راجع: نظريات في علم الآثار، د/ أزهري مصطفى صادق، ص٤).

(٥) راجع التفصيل في: عِلم مقارنة الأديان، د/ حسن الباش، ص٦١ – ٧٢.

المبحث الثاني
معوِّقات التجديد في عِلم مقارنة الأديان

مدخـل:

على الرغم من عطاء الأمَّةِ – الزَّاخِر والمتميِّز – في العلومِ الإسـلاميةِ، بالشـكل الذي كشـف عن الوجه الحضـاريّ لها طِيلةَ قُرونٍ ممتدَّة، فَإِنَّ ظروفًا وتحدياتٍ – بعضُـها داخلي وبعضُها خارجي – قد حدَّ مِن هذا العطاء، وعطَّل – أو كاد – حركةَ التجدُّدِ والمواكبةِ الذاتيةِ في هذه العلوم، الأمر الذي يستدعي بذل جهودٍ إضافيةٍ؛ لتجديدها والارتقاءِ بها.

ويشـهد هذا العصـر عودةَ (عِلم مقارنة الأديان) مرَّةً أُخرى للظهور بين المسـلمين في جامعاتهم ومعاهدهم، لكنَّه لم يصـل بعدُ إلى الغايةِ المرجوَّةِ منه، فظهورُه لا يزال خُطوةً محتشمةً في ظلِّ غيابِ دوائر مستقلّة للدراسات الدينية، تعمل جنبا إلى جنب مع دوائر العلوم الاجتماعية والإنسانية..

وفي مستهل حديثنا عن التجديد في "عِلم مقارنة الأديان" نـجد تساؤلا يفرِضُ نفسَه، وهو:

هل العلوم الإسـلامية بحاجةٍ إلى تجديدٍ، ينظر في أصـولِها، ومناهجِها، ونتائجِها، فيأخذ مِن ذلك، ويَدَع، ويُعدِّل، ويُجدِّد، ويُضيف، ويَحْذِف ؟

أم أنَّ هذه العلوم – أو بعضَها – وصل إلينا في صورةٍ من الاكتمال والكمال، بحيث لا يحتاج إلى شيءٍ من ذلك، وإنَّما نحتاجُ نحنُ – فيما يتَّصِلُ بها – أن نُحسِنَ دَرْسَها، وفهمَها، والإحاطةَ بها ؟

تلك نظرتان: إحداهما محافِظة، والأخرى معاصِرة.

ومع تقديرنا لأصحاب النظرة الثانية، نرى أنَّ أصحاب النظرة الأولى – القائلين بأهمية التجديد والحاجة إليه – هم الأقربُ إلى الحقِّ والصَّوابِ في ذاتِه، والأقربُ – أيضا – إلى فَهْمِ طبيعةِ (العِلم البشـري) باعتباره تراكُمًا معرفيًا مِن صُـنْع البشـر، وأنَّه إذا توقّفتِ المعارفُ البشـريةُ عن الإبداع والتجديد تَأَسَّـنَت في عقولِ أصـحابِها، وأرغمتهم نحو التبعيّة في ركبِ

الأمم المتقدمة، وتصبح هذه المعارف - مهما كانت نفاستُها - كالنقودِ التي وَلَّى زمانُها، وذهبتْ قيمتُها. ثمَّ إنَّ أصحاب هذه النظرة للدَّاعيةِ إلى تجديد العلوم أقربُ - أيضا - إلى فهم الواقع، ومتطلبات التطور الحضاري، والصراع بين العقائد والنُّظُم والتصورات(١).

وإذا كان التجديدُ في ظل هذا التطور المشهود ضرورةً علميةً واجتماعيةً، فإنَّه أمرٌ مأذونٌ به في الشريعة الإسلامية، التي جاءت ملائمة للفطرة، وموافقةً للعقل، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: « إنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »(٢).

ولا غرابةَ - والحال كذلك - أن يجري الحديث عن تجديد العلوم الإسلامية كأحدِ جوانب التجديد المطلوب في الدِّين.

ويتناول هذا المبحث طَرَفًا من معوِّقات التجديد المنشود في عِلم "مقارنة الأديان" على وجه الخصوص، وذلك من خلال المطالب الآتية:

***

---

(١) راجع: حاجة العلوم الإسلامية إلى التجديد، د/ محمد بلتاجي، مجلة فكر وإبداع، العدد ١، ص٦١ - ٦٢، رابطة الأدب الحديث، ١٩٩٩م.

(٢) سبق تخريجه: ص



المطلب الأول

مفهوم التعويق والتجديد

أولا: مفهوم التّعْوِيق

التعْوِيقُ لُغَةً: مِنْ عَاقَهُ عَنِ الشَّيءِ، يَعُوقُهُ، عَوْقًا، وعَوَّقَهُ، وتَعَوَّقَهُ، واعْتَاقَهُ، أي: حَبَسَهُ، وصَرَفَهُ عَنْهُ. والعَوْقُ: الأمرُ الشَّاغِلُ. وعَوَائِقُ الدَّهْرِ: الشَّوَاغِلُ مِن أَحْدَاثِهِ. والتَّعْوِيقُ: التَّثْبِيطُ، وَمِنْهُ قولُهُ – تعالى –: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾(١)، والمُعَوِّقُونَ: المُثَبِّطُونَ، الصَّارِفُونَ عَنْ طَرِيقِ الخَيْرِ(٢).

ويُقصد بـ(المُعَوِّقَاتِ) هنا: كلّ ما أسهم في مَنْع التجديد في عِلم (مقارنة الأديان)، وصَرَفَ عنه.

ثانيا: مفهوم التّجْدِيد

التجديد لغة: ترجع كلمة "التجديد" في أصلها اللغوي إلى الجيم والدَّال المضعَّفة (جَدَّ)، و(الجِدَّةُ): مَصْدَرُ الجَدِيدِ، يُقال: (تجدَّد الشَّيءُ): صَارَ جَدِيدًا. و(أَجَدَّه، وجَدَّدَهُ، واسْتَجَدَّهُ): صَيَّرَهُ جَدِيدًا، أي كأنّه قَطَعَهُ عن صِلته بالقديم، وأنشأه على وجهٍ آخر. و(الجَديدُ): مَا لا عَهْدَ لَكَ بِهِ، و« كلُّ شيءٍ لم تأت عليه الأيامُ يُسمَّى جديدا، ولِذا يُسمَّى الليلُ والنَّهارُ "الجديدين" و"الأجدين"؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما إذا جاء فهو جَديد »(٣).

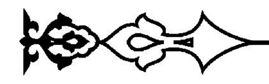
ومن خلال هذه المعاني يمكن القول بأنَّ التجديد – في أصل معناه اللغوي – يبعث في

---

(١) لسان العرب: ج١٠/ ص ٢٧٩، ٢٨٠، والآية من سورة الأحزاب، رقم ١٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، ص٥٩٧، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣) راجع: معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، ج١/ ص٤٠٦ – ٤٠٧، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، لسان العرب، ج٣/ ص١١١، ١١٢.



الذهنِ تصورًا، تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متَّصلة(١) :

الأول: أنَّ الشيءَ المجدَّد قد كان في أوَّلِ الأمرِ موجودًا، وللناسِ به عهدٌ.

الثاني: أنَّ هذا الشيءَ أتتْ عليه الأيامُ، فأصابَهُ البِلَى، وصار قديمًا.

والثالث: أنَّ هذا الشيء قد أُعيد إلى مِثل حالته التي كان عليها قبل أن يَبْلَى.



التجديد اصطلاحا: تنوَّعَت عباراتُ العلماء في تعريف (التجديد):

يقول العظيمُ آبادي(٢) : « التجديد: إحياءُ ما انْدَرَسَ من العمل بالكتاب والسُّنة، والأمرُ بمقتضاهما، وإماتةُ ما ظهر من البدعِ والمحدَثات »(٣).

ويقول د/ عمر عبيد حسنة(٤) : « ليس المراد بالاجتهاد والتجديد الإلغاء والتبديل،

---

(١) بناء المفاهيم (دراسة معرفية ونماذج تطبيقية)، د/ إبراهيم البيومي غانم، وآخرون، ج١/ ص٣٤٥، ٣٤٦، سلسلة (المفاهيم والمصطلحات) رقم ٤، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢) أبو الطيب، محمد أشرف بن أمير بن علي، العظيم آبادي (٠٠٠ - بعد ١٣١٠هـ) : علاَّمة بالحديث، هندي. من تصانيفه: "التعليق المغني على سنن الدارقطنيّ"، و"عون المعبود على سنن أبي داود"، و"المكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف"، و"عقود الجمان". (راجع: معجم الأعلام للزركلي، ج٦/ ص٣٩).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود. محمد شمس الحق العظيم آبادي، ج١١/ ص٢٦٣، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

(٤) عمر عبيد عبد الحميد حسنة: مفكر إسلامي، تخرّج من كليّة الشريعة بجامعة دمشق، واشتغل بتدريس مادة التربية الدينيّة، وشارك في تحرير (مجلّة حضارة الإسلام)، وعمل مديراً لتحرير (مجلّة الأمّة) التي أصدرتها رئاسة المحاكم الشرعيّة في دولة قطر. من أبرز كتبه : "نظرات في مسيرة العمل الإسلامي"، و"فقه الدعوة: ملامح وآفاق"، و"فقه التغيير: ملامح المنهج النبوي"، و"الوراثة الحضاريّة"، و"في منهجيّة الاقتداء"، و"الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضاريّة". [نقلا عن:

وتجاوز النصّ، وإنما المرادُ هو: الفهمُ الجديدُ القويمُ للنصِّ؛ فهو يهدي المسـلمَ لمعالجة مشكلاته، وقضايا واقعه - في كلِّ عصرٍ يعيشه - معالجةً نابعةً من هَدْي الوحي »(١).

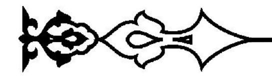
ويلاحظ ارتباط هذه التعريفات بـــ (الدِّين). وما نحاوله - هنا - هو إبراز مفهوم التجديد في عِلم (مقارنة الأديان) تحديدا. وغنيٌّ عن البيانِ أنَّ التجديد لا يعني الإبداع والابتكار على نحوٍ لم يُسبَقْ إليه، وإنما معناه تصيير العِلم جديدًا، وتلك عملية تستدعي بذلَ الجُهد في: إحياء التراث المعرفيّ للمسلمين في هذا العِلم، وإعادة النظر فيه؛ لتخليصه من الشوائبِ التي عرضتْ له، وصياغته بما يلائِمُ واقعَنا المعاصر، مع الاستمساك بما في هذا التراث من مقوماتٍ جوهريةٍ لا يصحُّ التفريطُ فيها؛ لأنَّ التفريطَ فيها يقطعُ هذا العِلم عن مصادره التي تأسَّس عليها، وغاياته التي وُضع لأجلها.



* * *

_.https://www.goodreads.com/author/show/2884079 بتاريخ ٨/ ٢/ ٢٠١٩م].

(١) الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، ص٢٠، نقلا عن: التجديد في الفكر الإسلامي. د/ عدنان محمد أمامة، ص١٨، سلسلة (رسائل جامعية)، رقم ٢٨، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.



المطلب الثاني

غياب الموضوعية في دراسة الأديان

لكي ينتقل عِلمُ "مقارنة الأديان" إلى طورٍ جديدٍ من الإبداع، لا بُدَّ من تجاوز بعض المشكلات المنهجية التي تُعِيق التجديد المنشود.

وتقف مشكلةُ غياب "الموضوعية" في صدارة هذه المشكلات؛ ذلك أنَّ دراسة العقائد والمظاهر الدينية تنقسم إلى نوعين: دراسة تعصُّب وهَوَى، ودراسة تقرير وإنصاف. ومعظم الباحثين في الأديان - إلاَّ مَن رحِم اللهُ - يتَّجهون الوجهةَ الأولى، فيقفون موقفَ الدِّفاع عن عقيدتهم، ينصرونها بالحقِّ أو بالباطل، ويتعصَّبون لها، وفي الوقتِ نفسه يَذِمُّون عقائدَ مخالفيهم! وهذا أمرٌ يخالف الرُّوحَ العلميةَ، التي تتطلب النظرة الموضوعية، والتجرُّد من الهوى؛ حتى يتيسر الحُكم على الآراء حُكما عادلا صحيحا(١).

ولا شك أنَّ غياب "الموضوعية" يمثِّلُ مشكلةً تؤثِّرُ في منهج الدراسة، ونتائجها، وتؤدِّي إلى اختزال دراسة الأديان للبحث عن العيوبِ والمتناقضات، كما أنَّها تزيد الهُوَّةَ بين أتباع الأديان المختلفة.

وهو ما يمكن عرضه من خلال العناصر الآتية:

أولا: مفهوم الموضوعية

يُقصَد بالموضوعية: « مجموعة الأساليب والخُطُوات والأدوات، التي تمكّننا من الوقوف على الحقيقة، والتعامل معها على ما هي عليه، بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية »(٢).

---

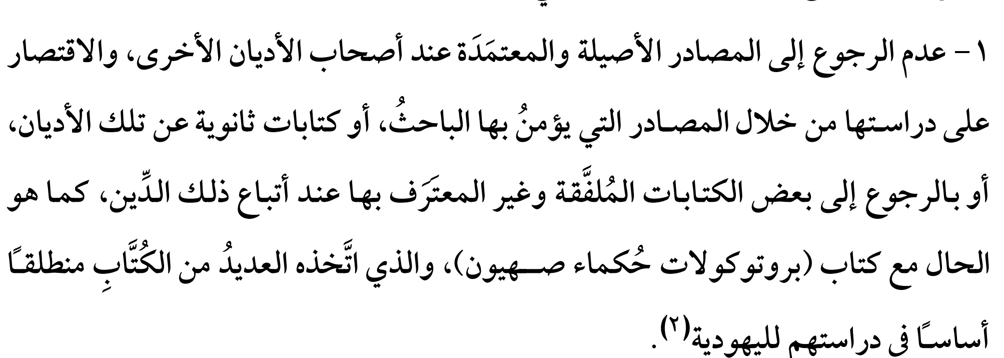
(١) المِلل والنِّحَل للشهرستاني. مقال للدكتور/ أحمد فؤاد الأهواني، مجلة تراث الإنسانية، مجلد٤، العدد ٢، ص٥٠، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٦م.

(٢) فصول في التفكير الموضوعي، د/ عبد الكريم بكّار، ص٤٥، سلسلة (الرحلة إلى الذات)،

ويترادف المضـمون المعرفي لهذا المصـطلح مع مصـطلحاتٍ أخرى، كـــ (العدل)، و(الإنصاف)، و(الحِياد)، و(النَّزاهة)، و(التجرُّد عن الهَوَى).

ثانيا: مظاهر غياب الموضوعية في دراسة الأديان[1]

من الصعوبة بمكان الإحاطة بكلِّ مظاهر غياب الموضوعية في دراسة الأديان، إلاَّ أنه يمكن الإشارة إلى أبرز تلك المظاهر، وهي:



١- عدم الرجوع إلى المصادر الأصيلة والمعتمَدَة عند أصحاب الأديان الأخرى، والاقتصار على دراستها من خلال المصادر التي يؤمنُ بها الباحثُ، أو كتابات ثانوية عن تلك الأديان، أو بالرجوع إلى بعض الكتابات المُلفَّقة وغير المعترَف بها عند أتباع ذلك الدِّين، كما هو الحال مع كتاب (بروتوكولات حُكماء صـهيون)، والذي اتَّخذه العديدُ من الكُتَّابِ منطلقًا أساسًا في دراستهم لليهودية[2].

٢- عدم امتلاك المؤهلات العلميَّة لنقد التصـورات الدينية الأخرى، وعلى رأس تلك المؤهلات المعرفة باللغات الأصـلية للأديان، كما هو الحال مع اللغات العِبرية، والآرامية، واليونانية القديمة، في دراستنا لليهودية والمسيحية[3].

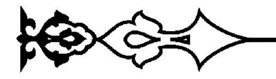
٣- عدم التمييز بين أقوال الفِرق الشَّاذة في الدِّين، وبين قولِ جمهور أتباع ذلك الدِّين، وهذا كمَنْ يحكمُ على الإسلام من خلال "المجسِّمة" أو "المشبِّهة"، وكمَن يحكُمُ على الشيعةِ

العدد١، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(١) راجـع: الموضـوعية في دراسـة الأديـان، د/ عـامر عـدنان الحـافي، مجلـة إسـلامية المعرفـة، السـنة ١٥، العدد٦٠، ص١٥٤ - ١٥٦، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ربيع الأول، ١٤٣١هـ.

(٢) راجع التفصيل: ص

(٣) راجع التفصيل في المطلب الثالث (الجهل باللغات).



من خلال "السبئية" أو "الغُرابية"(١).

٤- التركيز على الأنموذج الأسوأ في الواقع الديني للآخر، وتعميمه على كافة أتباع ذلك الدِّين، كما هو الحال مع بعض الدراسات الغربية التي تتخذ من الاتجاهات المُغالية في المجتمع الإسلامي أُنموذجًا لدراسة الإسلام، وكذلك الحال في الكتابات التي تنظر إلى "الحروب الصليبية" بوصفها تعبيراً أمثل لعلاقة المسيحية بالإسلام! فهذه الكتابات لا تختلف - في مضمونها المعرفي - عن تلك الكتابات المناهضة للإسلام، والتي ترى الإرهابَ مبدأ إسلاميًا.

٥- القراءة السَّطحية للرموز والطقوس الدينية، فاختزال قداسة "الحَجَر الأسود" إلى تقديس الحجارة، وتقديس "الصَّليب" إلى تقديس الخشب، يتنافى مع الأبعاد الرُّوحية لهذين الرمزين عند أتباعهما، في كلٍّ من الإسلام والمسيحية.

ومِن ذلك - أيضًا - البحث في متشابهات النصوص عند الآخر، وحَمْلها على أسوأ معانيها، وعدم تأويلها، في حين نؤوِّلُ نحنُ ما تشابَه من نصوصنا(٢)!.

---

(١) الغُرابية: قوم زعموا أنَّ الله – تعالى – أرسل جبريلَ عليه السلام إلى عليّ رضي الله عنه فغلط في طريقه، وذهب إلى محمَّدٍ ﷺ؛ لأنه كان يُشبهه. وقالوا: كان أشبَهَ به من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب، وتقول هذه الفِرقة لأصحابها: اِلعَنُوا صاحبَ الريش، يعنون جبريل عليه السلام. (الفَرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية. أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ص٢٣٧، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م).

(٢) يوجد في التوراة بعض النصوص التي تَصِفُ اللهَ – تعالى - بالجهل، ومنها ما جاء في (سفر التكوين، الإصحاح٣، الفقرات ٨- ١٠، ص٤) في قصَّة آدم وحواء، بعد أن أكلا مِن الشجرة : (وسمع آدمُ وامرأتُه صوتَ الربِّ الإله وهو يتمشَّى في الجنَّة عند المساء، فاختبأ مِن وجه الربِّ الإله بين شجر الجنة، فنادى الربُّ الإلهُ آدمَ، وقال له: أينَ أنتَ؟ فأجاب: سمعتُ صوتَك في الجنة، فخِفْتُ؛ ولأنِّي عُريانٌ اختبأتُ)، فهذا النص ينطق ظاهرُه بجهله – سبحانه



٦- عَدّ التشابه في الأفكار أو المعتقدات المقدَّسة للأديان الأخرى دليلاً على وضعيتها، وعدم صحتها، مقابل استعمال أيّ تشابه بين دينِ الباحث والأديان الأخرى دليلاً على فطرية الدِّين المتَّبع، وإنسانيته! وهذا الموقف يؤكد تناقض الخطاب الديني مع بدهيات العقول.



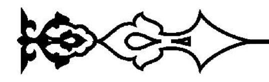
٧- الحرص على نقد الأديان الأخرى أكثر من الحرص على معرفةِ أفكارها، وقِيَمِها الأخلاقية والرُّوحية. ودليل ذلك كثرة كُتُب الجدل والردود، وقِلَّةُ الدراسات الوصفية، التي تبحث في الأديان الأخرى من خلال منظور أتباعها.

٨- إصدار الأحكام النهائية بحقّ الأديان الأخرى دُون الإحاطة بما قاله علماءُ تلك الأديان! ومِن أمثلة ذلك: عدم الرجوع إلى آراء علماء اليهود - أمثال موسى بن ميمون(١) - للتعرف على موقفهم من النُّصوص الواردةِ في "العهد القديم"(٢)، والمُوهِمةِ للتشبيه، مِن قبيلِ أنَّ

- بمكان آدم. في حين أننا نجد في السُّنة النبوية ما يُشبه ذلك، ففي حديث تعاقب الملائكة في بني آدم، يقول النبي ﷺ: (فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وهو أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ). أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إليه ﴾، وقوله - جَلَّ ذِكْرُهُ - : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾، ج٦/ ص٢٧٠٢، رقم ٦٩٩٢، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، ج١/ ص٤٣٩، رقم ٦٣٢.

(١) أبو عمران، موسى بن ميمون القرطبي (٥٢٩ - ٦٠١هـ): رئيس اليهود، وعالِمهم وحبرهم بالديار المصرية. وُلد وتعلَّم في قرطبة. أقام في القاهرة ٣٧ عاما، كان فيها زعيما روحيا لليهود، كما كان في بعض تلك المدة طبيبا في البلاط الأيوبي. له تصانيف كثيرة، منها: "دلالة الحائرين"، و"الفصول"، و"شرح أسماء العقار". (راجع: تاريخ الإسلام للذهبي، ج١٣/ ص ٢٦٢).

(٢) العهد القديم: هو الأسفار التي اعتمدها اليهودُ، على اختلافٍ بينهم في عددها، وأطلقوا





الله – تعالى – استراحَ يومَ السَّبت(١).

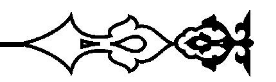
عليها اسم "العهد القديم"؛ للتفرقة بينها وبين ما اعتمده النصارى من أسفارهم، التي أطلقوا عليها اسم "العهد الجديد". (راجع: الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام. د/ علي عبد الواحد وافي، ص١٣، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).


مجلة كلية الدراسات الإسلامية

(١) جاء في [سِفر التكوين، الإصحاح ٢، الفقرات: ٢ – ٣، ص٣] : « وفَرغ اللهُ في اليومِ السابعِ من عملِهِ الذي عَمل، واستراح في اليومِ السَّابعِ مِن جميعِ ما عَمِلَهُ. وبارَكَ اللهُ اليومَ السابعَ، وقدَّسَهُ؛ لأنه استراحَ فيه مِن جميع ما عَمِلَ كَخَالِقٍ »، وجاء في [سِفر الخروج، الإصحاح ٢٠، الفقرة ١١، ص٩٣] : « لأنَّ الربَّ في سِتَّةِ أيَّامٍ خلق السماواتِ والأرضَ والبحرَ، وجميعَ ما فيها، وفي اليوم السابع استراح »، وفيه أيضا [الإصحاح٣١، الفقرة ١٧، ص١٠٩] : « لأنِّي أنا الربُّ، الذي في ستَّةِ أيام صنع السماواتِ والأرضَ، وفي اليوم السابع استراحَ، وتنفَّس الصَّعداء ».

فهذه النصوصُ الثلاثةُ يُوهِمُ ظاهرُها أنَّ الله – تعالى – أصابَهُ الإعياءُ، ونَالَهُ التعبُ بعد خَلْقِ السماواتِ والأرض، فقرَّر – سبحانه – الراحةَ في اليوم السابع، وكان يومَ السبت !!

بينما يرى موسى بن ميمون – عالمُ اليهود وحَبرُهم – أنَّ لفظ الراحة – في معناه العبري – لا يعني الاستراحة، ولا علاقة له بالتعب. يقول: « استُعير له الاستراحة في يوم السبت؛ لأنَّ الكَفَّ عن الكلام – أيضا – يُسمَّى استراحة، كما قيل: فأمسك هؤلاء الرجال الثلاثة عن محاورة أيوب ..... وأمَّا الحكماءُ، وغيرُهم من المفسرين فقالوا: ولْيستَرِحْ عالَمُهُ في اليوم السابع. يعني: انقطع الإبداعُ فيه. ويمكن أن يكون معناه (أَقَرَّ)، أو (أَمَرَّ) الوجودَ على ما هو عليه في اليوم السابع. يقول: إنَّ في كلِّ يومٍ من الستَّةِ كانت تحدث حوادثُ خارجةٌ عن هذه الطبيعة المستقِرّة الموجودة الآن في الوجود، وفي اليوم السابع استقرَّ الأمرُ على ما هو عليه الآن. فيكون معناه استكمال إرادته، ونفاذ جُملة مشيئته ». [دلالة الحائرين. الحكيم الفيلسوف: موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، ج١/ ص١٦٦ – ١٦٧، عارَضَهُ بأصوله العربية والعبرية وترجم النصوصَ: د/ حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون طبعة أو تاريخ].



٩- إنكار الحقائق التاريخية، أو تشويهها، أو اختلاقها؛ لتسويغ موقف مُسْبَق، أو إرضاءً لنزعاتِ التعصُّب الديني، ومثال ذلك محاولات بعض المستشرقين نفي نبوة نبيِّنا محمد ﷺ.

ثالثا: أسباب غياب الموضوعية في دراسة الأديان[1]

يمكن تقسيم الأسباب الجوهرية لغياب الموضوعية في دراسة الأديان إلى نوعين:

الأسباب النفسية، ومنها:

أ- التعصب للعقائد، ممَّا يحولُ دونَ فهم الأديان الأخرى على ما هي عليه في الواقع.

ب- اتباع الهوى، الذي يحجب صاحبَه عن الحقِّ، ويجعلُه عاجزاً عن الوصول إلى معرفةٍ موضوعيةٍ للأديان. ولا يقتصر الهَوَى على مَن لا عِلْمَ له، وإنما يقع فيه - أيضا - مَن له عِلْمٌ؛ يقول تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾[2]، وهذا يؤكِّد حاجةَ الإنسان إلى دوافع صحيحة تحثُّه على الارتقاء بعِلمه، ومغالبة هواه.

جـ- شعور الباحث المتديِّن بخطورة التأثُّر (المحتَمل) من الانفتاح الموضوعي على دراسة الأديان والعقائد المُخالفة، ممَّا يدعوه إلى المسارعة في إطلاق الأحكام المُسْبقة، بالانحراف أو بالخطأ.

الأسباب الفكرية، وهي:

أ- التحيُّز للذات، الذي يدفع إلى الاعتقاد بامتلاك الحقيقة، واحتكار المعرفة الدينية، ومن

وهذا يتفق مع الكمال الإلهي، الذي لا يعتريه نقصٌ، ولا يُشبِه المخلوقين. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، وتقول التوراة أيضا: « أمَا عَرَفتَ ؟ أمَا سمِعْتَ أنَّ الربَّ إلهٌ سرمديٌّ. خَلق الأرضَ بكاملِها. لا يتعبْ، ولا يَكِلّ أبدا ». [إشعيا٤٠ : ٢٨]، وفي الإنجيل: « فقال لهم يسوع : أبي يعملُ في كلِّ حين ». [يوحنا ٥: ١٧].

(١) راجع: الموضوعية في دراسة الأديان، ص١٥٦ - ١٥٩.

(٢) سورة الجاثية: من الآية ٢٣.



ثَمَّ النظر إلى الآخر على أنَّه الأنموذج الأمثل للضلال والباطل!

والموضوعية العلمية تقتضي نوعـًا من الإقرار الضِّمني بإمكانية صحَّة ما يقوله الآخر، يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(١) فهذه الآيةُ تؤكِّد على ضـرورةِ تخلِّي المتحاورين عن أحكامهم المُطلقة، وتصوراتهم المُسبَقة، وافتراضهم إمكانية الخطأ على أنفسهم، وإمكانية الصَّواب على غيرهم.

وغنيٌّ عن البيان أنَّ الاعترافَ بإمكانية الخطأ لا يجعلنا نتَّجِهُ نحوه بقَدْر ما يجعلُنا نسعى إلى الارتقاء بمعارفنا، ومواصلة البحث والتعلم.

ب- الانطلاق من المسـلَّمات، والتعامل مع الأديان الأخرى على أنها انحرافات بدهية، لا تحتاج إلى البحث والتنقيب، وهذا النوع من التحيز الديني سببُه التسطيح والتبسيط للقضايا الدينية، التي هي – في الواقع – من أكثر القضايا تعقيداً وتركيبـًا وامتزاجـًا.

ولا يعني تجرُّد الباحث من الأحكام المُسـبَقة عدم انتهائه إلى حُكم؛ إذ لا بُدَّ له في النهايةِ من تقييمٍ ما، لكنَّ المسـافةَ بين الأحكام الناتجةِ عن دراسـةٍ وتمحيصٍ تختلف عن تلك التي تنتهي من حيث بدأت، دونَ أن تزيد صاحبَها شيئـًا من المعرفة.

جـ- تأثر الباحث بثقافته وقضايا مجتمعه، وانعكاس ذلك على فهمه واستيعابه للموضوعات المدروسة في الأديان.

د- تأثير المفكِّرين القدامى في عقل الباحث، بحيث يُصـبِح ناقلاً لآرائهم، وعارضـًا لأفكارهم، ومؤيدا لِرُؤاهم المنفصلة – أحيانا – عن الواقع الراهن!

رابعا : نموذج للموضوعية في الدراسات الدينية المقارنة

يُعَدُّ كتاب [الإعلام بمناقب الإسـلام] للعَامِريّ(٢) (ت ٣٨١هـ) مِن أبرز الكُتب،

---

(١) سورة سبأ: من الآية ٢٤.

(٢) سبقت ترجمتُه: ص

وأكثرها تطوراً في دراسة الأديان المقارنة، في التراث الإسلامي القديم.

ويُفصح مسمَّى الكتاب عن الغايةِ من تأليفه، لكنَّ هذه الغاية لم تُبرِّر للعامريِّ – رحمه الله – الانقضاض على الأديان بلا موضوعيةٍ أو إنصاف، ولذا انطلق في دراسته من عدَّةِ أُسس منهجيَّة، أكَّدتْ إنصافه وموضوعيته العلميَّة، التي تكاد تنعدمُ في كثيرٍ من الدراسات الغربية المقارنة للأديان. وهذه الأسس هي:

١ – قارن "العامريّ" بين ستَّةِ أديان، هي – الإسلام، واليهودية، والنَّصرانية، والصَّابئة، والمجوسية، والشرك – وذلك من خلال عناصرَ محدَّدة؛ بوصفها أصولاً مشترَكة، هي: العقيدة، والشريعة، والعبادة، ثم أضاف إليها عناصرَ أُخرى بالغة الأهمية، وهي: النظام السياسي، والنظام الاجتماعي، والإنجاز الحضاري، والإنجاز الثقافي(١).

٢– التزم "العامريّ" بمقارنة العناصر المتشابهة، أو ما يُسميها (الأشكال المتجانسة) في الأديان، أي مقارنة الأصل بالأصل، والمُهم بالمُهم؛ فمِن الخطأ، وعدمِ الإنصاف مقارنة الأصل بالفرع، أو مقارنة جانبٍ مهمٍ في دينٍ ما بجانبٍ أقلّ أهميةٍ في دينٍ آخر.

٣– كما التزم "العامري" أن يقارن كلَّ دينٍ على أساسِ مبادئه وأصوله المقبولةِ لَدَى "جمهور" معتنقيه، فلم يأخذ برأي فِرقةٍ واحدةٍ، أو أقليَّةٍ في أيِّ دينٍ على أنَّها تمثِّلُ أهلَ ذلك الدِّين جميعا.

وفي ذلك يقول: « وقبل أن نَشرعَ فيما وعدناه مِن مقابلةِ رُكنٍ برُكنٍ – ممَّا يترتب تحت المِلَّةِ الحنيفية – بنظيره من المُرتَّب تحتَ الأديان الأخرى، يجب أن نقدِّمَ مقدمةً، فنقولُ: إنَّ تبيانَ

---

(١) الإعلام بمناقب الإسلام (تحقيق ودراسة في مقارنة الأديان)، أبو الحسن محمد بن يوسف العامري، ص٢٢، ٢٣ من مقدمة التحقيق للدكتور/ أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

فضـيلةِ الشَّـيءِ على الشـيءِ بحسـب المقابلات بينهما قد يكون صـوابـًا، وقد يكون خطأ، وصورةُ الصَّواب معلَّقة بشيئين، أحدهما: ألاَّ يوقِعَ المُقَايَسَةَ إلاَّ بين الأشكال المتجانِسة، أعني ألاَّ يعمد إلى أشرفِ ما في هذا، فيقيسَه بأرذلِ ما في صاحبِه، ويعمد إلى أصلٍ من أصول هذا، فيقابله بفرعٍ من فروعِ ذاك. والآخر: ألاَّ يعمد إلى خَلَّةٍ[١] موصـوفةٍ في فِرقةٍ من الفِرَقِ، غيرِ مسـتفيضــةٍ في كافتها، فينسـبها إلى جملةِ طبقاتها. ومَتَى حافظ العاقلُ في المقابلةِ بين الأشـياءِ على هذين المعنيين، فقد سـهل عليه المأخذُ في تَوْفِيَةِ حظوظِ المتقابلات، وكان ملازِمـًا للصوابِ في أمره »[٢].

٤- ومراعاةً للموضـوعية العلميَّة في الدرس المقارن للدِّين، انطلق "العامريّ" من أسـسٍ مفاهيميةٍ واحدةٍ، يتفق عليها العقلاءُ من أتباع الأديانِ جميعا، ومن ذلك عَرْضُ العقائد - سـواء أكانت عقيدة الباحث أم عقائد غيره - على العقل، حيث يقول: « مِن الواجبِ على الإنسـان أن يعرض جميعَ ما يَسْـنَحُ لقوَّته المتخيِّلة من الأبوابِ الاعتقادية على قوَّتِه العاقِلة؛ ليأمَنَ به آفات الكذب، غير أنَّه ربَّما كَرِه عَرْضَــهُ عليها؛ تفاديـًا مِن أنْ يُزَّنَ[٣] بالنَّقص، أو يُؤَنَّبَ بالكذب »[٤].

٥- وحرصًا على الموضوعية انتقد "العامريُّ" التقليدَ في البحث العلمي، في مسائل العقائد والإيمان على السواء، رافضـًا التعصُّب لمعتقدات الآباء والأجداد، وحاثـًا على الرجوع إلى منهج القرآن الكريم الذي يكون فيه المسـلمُ قدوةً بالإصـلاح والإنصـاف والعدل تَجَاه غيره،

(١) قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : الخَلَّة الْخَصْلَةُ. والجمعُ خِلال. (لسان العرب: ج١١/ ص٢١٦)

(٢) الإعلام بمناقب الإسلام: ص١٢٥.

(٣) يُقَـالُ: فُـلَانٌ يُـزَنُّ بِكَـذَا، أَي: يُـتَّهم بِـهِ، وَفِـي شِـعر حسَّـان، في عائشـةَ - رضـي الله عنهـا - حَصَـانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بريبةٍ. (لسان العرب: ج١٣/ ص٢٠٠).

(٤) الإعلام بمناقب الإسلام: ص٧٩.

قبل أن يأمرهم بشيءٍ من ذلك؛ لأنَّ « أنفـع الأشياءِ للإنسانِ في الإبقاءِ على نفسِه أن يعلم أنَّه متى ارتكب المسـاوئَ لم يمكنه سَـدّ أفواه الناس عن ذِكرها، فلا يلتمس إسـكاتَهم بالغِلظة على مَن يعيبه بها، بل يلتمسه بإصلاحِ أخلاقِهِ »(١).

٦- ومن أَمَارات الموضـوعية العلمية التي تحلَّى بها "العامريُّ" تحذيره من الاسـتخفاف بالآخر، أو الخوضِ في الأديان بجهالةٍ. يقول - رحمه الله - : « مِن الواجبِ على أربابِ الصـناعات الثلاث - الحديث والفقه والكلام - ألاَّ يحمل أحداً فَرْطُ الإعجابِ بنفسِه وبصناعته على الاستخفاف بما سواه، وألاَّ يحمله الاغترارُ بما أُوتيه من المهارةِ في خَاصِّي صناعته على الخوضِ فيما ليس هو مِن شأنه، بل يعمل على تفويضِ كلِّ صناعةٍ إلى أربابها، ويوفِّي العارفين بها والمتقدِّمين فيها حقوقَهم من التبجيل والتعظيم، وألاَّ يكابر ما أوجبه العقلُ الصـريحُ لمحبَّةِ التقليد، وخصـوصـاً لمن يُشـهَدُ له بالعصـمةِ، فإنَّ الحقَّ لا يُعرَفُ بالرجالِ، بل يُعرَفُ بنفسِه »(٢).

وبهذه الضـوابط العلميَّة التي التزمها "العامريُّ" في دراسـته للأديان، احتلَّ كتابُه المذكور مكانةً رائدةً لا تُضَارَع في مجاله وميدانه.

---

(١) السابق : ص٧٣.

(٢) السابق : ص١١٨، ١١٩.

خامسا : نموذج لغياب الموضوعية في الدراسات الدينية المقارنة

ومِن النماذج التي نذكرها هُنا لغياب الموضــوعية في الدراســات الدينية المقارنة، ما جاء في كتاب [اليهودية] للأستاذ الدكتور/ أحمد شلبي(١) – رحمه الله – فمع تقديرنا الكبير للدكتور/ شــلبي، وأُســتاذيته التي لا يُمارِي فيها أحدٌ، إلاَّ أنه – رحمه الله – وقع في كتابه المذكور تَحيُّزٌ ملحوظ، على الرَّغْم من وَعْدِه بأن يكون محايدا(٢)، وباحثا عن الحقيقةِ دونَ التأثر بأيِّ عوامل(٣) !

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

ومِن صُوَر ذلك :

١ـ النقل عن مصادر مشكوك فيها:

وفيما يفخر الدكتور/ أحمد شــلبي، بأنَّه رجع في دراســته لليهودية إلى المراجع الرئيسة(٤)، نراه يعتمد كتاب [بروتوكولات حُكماء صُهيون](٥) مرجِعًا ومصـــدرًا يُوضَعُ

(١) سبقت ترجمته: ص

(٢) راجع: اليهودية، د/ أحمد شلبي، ص٣٦.

(٣) السابق: ص١٨.

(٤) راجع: السابق، ص٣٥.

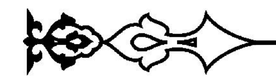
(٥) وثيقة تتضمن أربعةً وعشرين بروتوكولاً، وضعها نحو ثلاثمائة من أعتَى حُكماء صُهيون، يمثلون خمسينَ جمعية يهودية، وذلك في مؤتمر "بال" بسويسرا، سنة ١٨٩٧م، برئاسة زعيمهم "هرتزل"، وتتناول هذه البروتوكولات خطة اليهود السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج مَلِكٍ من نسل "داود"، وتعتمد الخطة على العديد من وسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي، وتهدده بإشاعة الفوضى، والإباحة بين شُعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة على عقول أبنائه، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخُلق القويم. (راجع: الخطر اليهودي، بروتوكولات حُكماء صهيون. أ/ محمد خليفة التونسي، تقدير: أ/ عباس العقاد، ص٣٣، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان).

بجوار المصادر المقدَّسة، والمعترَف بها لدى اليهود - كالتوراة[١]، والتلمود[٢] - في حين أنَّه قد دار لَغَطٌ كبيرٌ حول هذه "البروتوكولات"، وصحَّة نسبتها، فمنذ ظهورها - في



(١) التَّوْرَاة : اسمٌ عِبرانيّ، أصلُه (طُورَا) بمعنى الهُدَى. [التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج٣/ ص١٤٨، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ]، وهي كتابُ اللهِ المُنزَّل على نبيِّه موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: من الآية ٤٤]، ويُراد بها عند اليهود: الأسفار الخمسة الأولَى من كتاب (العهد القديم)، وهي: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، وتبدأ بخَلق العالَم، وتنتهي بوفاة موسى عليه السلام، وتُطلق (التوراة) على (العهد القديم) بجميع أسفاره؛ مِن باب إطلاق الجزء على الكُلّ. [المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم. د/ محمد علي البار، ص١١١، ١١٢، سلسلة (أباطيل التوراة والعهد القديم) العدد (١)، دار القلم/ دمشق، الدار الشامية/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م].

(٢) التلمود TALMUD: مستخرجة من LAMUD العِبرية، التي تعني (تعاليم). وهو الكتابُ الذي يحتوي على التعاليم اليهودية، ويعتقد اليهودُ أنَّه منزَّل من الله؛ فكما تسلَّم موسى عليه السلام الشريعةَ المكتوبة (التوراة) على جبل سيناء، تسلَّم - كذلك - تفسيراتٍ وشروحًا لهذا القانون. ويُقال بأنَّ موسى عليه السلام نقل هذا القانون الشفهي إلى (جوشوآ)، والذي نقله إلى (الشيوخ) السبعين، وهم بدورهم نقلوه إلى (الرسل)، حتى قام الرَّابي (جيهودا) بجمع هذا القانون في كتاب يُدْعَى (المشناة)، وقد كثرت التفسيراتُ حول (المشناة)، وأُضيفت إليها كجزءٍ جديدٍ، شكَّل فيما بعد (الجمارة)، وهي الجزءُ الثاني من التلمود. [فضح التلمود. الأب آي. بي. برانايتس، ص٢١ - ٢٣ بتصرف، إعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م].



ترجماتها المختلفة[1] – صـدرت أحكامٌ شـتَّى بشـأنها[2]، بعضـها ينفي وجودها، والبعض الآخر يُثبته! فالذين يُشـكِّكون في صـحّة "البروتوكولات" يبنُون رأيهم على المشـابهة بين نصـوصـها ونصـوص بعضِ الكُتب التي سـبقت ظهورها، ومنها [حوار بين مكيافيلي ومنتيسكيو] للصَّحافي الفرنسي "موريس جولي"، والذي يدور كتابُه حول التشهير بسياسة "نابليون الثالث"[3] الخارجية، أمَّا المرجِّحون لصـحة "البروتوكولات"، أو لصـحة مدلولها، فخلاصة حُجَّتهم أنَّها لم تأت بجديدٍ غير ما ورد في كُتب اليهود المعترَف بها، ومنها "التلمود"، وغاية ما هنالك أنَّ "التلمود" قد أجمل، بينما عمدت هذه الوثائق إلى التفصيلِ

(١) تُرجمت "البروتوكولات" إلى لغاتٍ شتَّى، منها: الترجمة الروسية لـ(سيرجي نيلوس) عام ١٩٠١م، والإنجليزية لـ(فكتور مارسدن) عام ١٩١٧م، والألمانية عام ١٩١٩م. (راجع: الخطر اليهودي – بروتوكولات حُكماء صهيون، ص٣٥، ٣٧).

(٢) على سبيل المثال جرت محاكمتان إحداهما في "بورت إليزابث" بجنوب أفريقيا عام ١٩٣٤م، والأخرى خلال عامي ١٩٣٤– ١٩٣٥م في "بيرن" بسويسرا، قضت المحكمةُ في كلٍّ منهما بأنَّ "البروتوكولات" عملٌ ملفَّق. (نقلا عن:
https://www.yadvashem.org/ar/holocaust/protocols.html بتاريخ ٢/ ٤/ ٢٠١٩م).

(٣) هو شارل لويس، نابليون الثالث (١٨٠٨ – ١٨٧٣م): امبراطور فرنسا، وُلد في باريس سنة ١٨٠٨م، انضم إلى جمعية الفحَّامين (الكابوناري)، وعمل في ميدان الصحافة داعيا إلى محاربة الحكومات المستبدة، وانتُخب رئيسًا للجمهورية عام ١٨٤٨م، فأصدر دستوراً جديداً منحه سلطات واسعة، مهدت له الطريق لإعلان الامبراطورية الثانية عام ١٨٥٢م. شارك في العديد من الحروب، أهمها حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦م) التي شاركت فيها فرنسا إنكلترا وتركيا ضد روسيا، وفي عام ١٨٧٠م أعلنت فرنسا الحربَ على بروسيا، ولكنها هُزمت، واستسلم نابليون. تُوفي في إنكلترا عام ١٨٧٣م. (راجع: الموسوعة العربية العالمية، مج٢٥/ ص١١، ١٢).

والتمثيل[١].

وفي هذا الصَّدد يقول د/ عبد الوهاب المسيري[٢] : « الرأي السَّائد الآن – في الأوساط العلميَّة التي قامت بدراسة "البروتوكولات" دراسةً علميةً متعمِّقةً – هو أنَّ البروتوكولات وثيقة مزوَّرة، استفاد كاتُبها من كُتيبٍ فرنسيّ، كَتَبَهُ صحفيٌّ يُدْعَى "موريس جولي"؛ يسخر فيه من "نابليون الثالث" بعنوان "حوار في الجحيم بين ميكافيللي ومونتيسكيو"، أو "السياسة في القرن التاسع عشر"، نُشر في "بروكسل" عام ١٨٦٤م، فتحوَّل الحوارُ إلى "مؤتمرٍ" ! وتحوَّل الفيلسوفُ إلى "حكماء صُهيون" !! وقد اكتُشفت أوجه الشَّبَه بين الكُتيب والبروتوكولات؛ حيث تضمَّنتْ هذه الأخيرة اقتباسات حرفيَّة من الكتاب المذكور، وأحيانًا تعبيرات مجازيَّة وصُوراً منه. والرَّأي السَّائد الآن: أنَّ نَشْرَ البروتوكولات إنَّما تمَّ بإيعازٍ من الشرطة السياسية الرُّوسية؛ للنَّيْل من الحركات الثورية، ومن أجل زيادة التفاف الشعب حول القيصر والأرستقراطية والكنيسة، وبتخويفهم من المؤامرة اليهودية الخفيَّة العالميَّة »[٣].



---

(١) راجع: الخطر اليهودي. بروتوكولات حُكماء صهيون: ص١٣، ١٤.

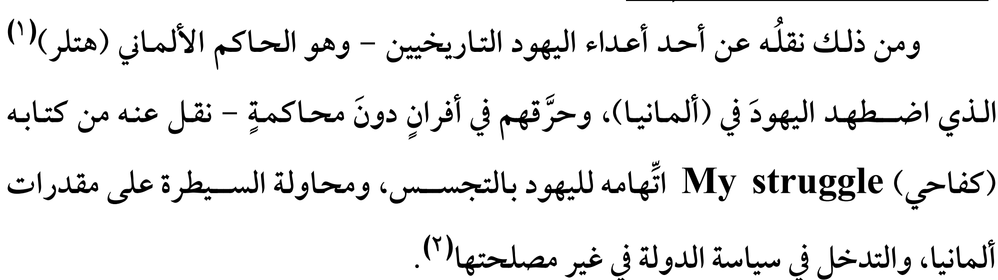
(٢) عبد الوهاب محمد المسيري (١٩٣٨-٢٠٠٨م) : مفكر، وناقد، ومترجم، مصري، وُلد بمدينة (دمنهور)، حصل على الدكتوراة في الأدب الإنجليزي من جامعة (رتجرز) سنة ١٩٦٩م، وعمل خبيرا بالشؤون الصهيونية بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام بمصر، ثم مستشارا بالوفد الدائم لجامعة الدول العربية في نيويورك. مارس التدريس في عدد من الجامعات العربية، وحقَّق مكانة فكرية وبحثية متميزة. من مؤلفاته: "نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بِنية الفكر الصهيوني"، و"موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية"، و"أسرار العقل الصهيوني"، و"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". (راجع: الموسوعة العربية العالمية، مج٢٣/ ص٢٨٠).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د/ عبد الوهاب المسيري، مج٢، ج٤/ ص٣٧١، دار

وأيًّا ما كان الأمر مِن صحة "البروتوكولات" أو عدم صحتها، فإنَّ الموضوعيةَ العلميةَ تتطلبُ الاعتماد على المصادرِ الموثوقِ بها، والبعيدةِ عن مظنَّةِ الاتهام، وإلاَّ فإنَّ (الدليلَ إذا تطرَّق إليه الاحتمالُ سقط به الاستدلال).

٢ـ النقل عن مراجع غير محايدة :





ومن ذلك نقلُه عن أحد أعداء اليهود التاريخيين - وهو الحاكم الألماني (هتلر)[١] الذي اضطهد اليهودَ في (ألمانيا)، وحرَّقهم في أفرانٍ دونَ محاكمةٍ - نقل عنه من كتابه (كفاحي) **My struggle** اتِّهامه لليهود بالتجسس، ومحاولة السيطرة على مقدرات ألمانيا، والتدخل في سياسة الدولة في غير مصلحتها[٢].

وإذا كان (هتلر) هو الخصم، والقاضي، والشاهد في القضية اليهودية، فهذا هو التحيُّز بعينه!

٣ـ إصدار الأحكام بناءً على استشهاد خاطئ :

عقد د/ شلبي، مقارنةً بين العقيدة في القرآن الكريم والتوراة، وقـرّر أنَّ التوراة تُضفي على الإلـه صفات البشر، وأنَّ « أسفارها الخمسة ترسم صورةً بشريةً محضةً للإله »[٣].

الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(١) أدولف هتلر (١٨٨٩ – ١٩٤٥م) : زعيم ألمانيا النازية، وضع - ما بين عام ١٩٢٤م وعام ١٩٢٦م - كتاب (كفاحي) الذي اعتُبر فيما بعد إنجيل النازيين، أصبح عام ١٩٣٣م سيد ألمانيا المطلَق. أدَّت سياسته الخارجية التوسعية إلى نُشوب الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٣٩م)، هاجم الاتحاد السوفيتي، وخسر معركة ستالينغراد (عام ١٩٤٣م)، ومات منتحرا عام١٩٤٥م. (الموسوعة العربية العالمية: مج ٢٦/ ص٦٩).

(٢) راجع: اليهودية، ص٩٤. وانظر هذه النصوص في: كتاب كفاحي. أدولف هتلر، ص٢٣٣ – ٢٣٥، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت.

(٣) اليهودية، شلبي: ص١٧٧.



واستدل على ذلك بحادثة سَيْر الربّ مع جماعةِ إسرائيل، يتقدمهم في عمودِ سحاب[1]، وهذا نَصُّ الخبر - كما في سِفر الخروج - : « وكان الربُّ يسير أمامَهم نهارًا في عمودٍ من سحابٍ؛ ليهديَهم في الطريق، وليلاً في عمودٍ من نارٍ؛ ليضيءَ لهم. فواصلوا السيرَ نهارًا وليلاً، وكان عمودُ السحابِ نهارًا، وعمودُ النارِ ليلاً لا يزولان مِن أمامِ الشعب »[2].

والواقع أنَّ الحُكم الذي أصدره د/ شلبي، بحقِّ التوراة يُناقِضُ ما نصَّت عليه التوراةُ نفسها، مِن استحالةِ رؤية الله – تعالى – في الدنيا، وهو ما يليقُ بجلاله – سبحانه – وكماله.

يقول اللهُ – تعالى – لموسى ﷺ : « أمَّا وجهي فلا تقدِرُ أنْ تراه؛ لأنَّ الذي يراني لا يعيش * وحين يمرُّ مَجْدِي أجعلُك في فجوةِ الصَّخرة، وأُغطيِّك بيدي حتَّى أَمُرَّ * ثم أُزيح يدي، فتنظر ظهري، وأمَّا وجهي فلا تراه »[3].

ويصرّح "العهد الجديد"[4] كذلك – في مواضعَ عديدة – بأنَّ رؤيةَ الله – تعالى – في الدنيا غيرُ واقعةٍ:

يقول المسيح ﷺ – كما في إنجيل يوحنا[5] –: « والآبُ الذي أرسلني هو يشهدُ لي، ما سمعتم صوتَه من قبل، ولا رأيتُم وجهَه ».

---

(١) اليهودية، شلبي: ص١٧٧، ١٧٨.

(٢) سفر الخروج: الإصحاح١٣، الفقرات: ٢١، ٢٢.

(٣) سفر الخروج: الإصحاح٣٣، الفقرات: ٢٠، ٢٢، ٢٣.

(٤) العهد الجديد: هي الأسفار التي اعتمدها النَّصارى، واعتقدوا أنها مقدَّسة، أي مُوحَى بها من الله، وعددُها سبعة وعشرون سِفراً، أطلقوا عليها "العهد الجديد"؛ للمقابلة بينها وبين ما اعتُمِد من أسفار اليهود المقدَّسة، التي أطلقوا عليها "العهد القديم". (راجع: الأسفار المقدَّسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٦٣).

(٥) الإصحاح٥، الفقرة: ٣٧.

وفيه – أيضا – : « ما مِن أحدٍ رأى اللهَ »[1].

وفي "الرسالة الأولى إلى تيموثاوس"[2] : « ما رآه إنسانٌ، ولَنْ يراه ».

وفي "أخبار الأيام الثاني"[3] : « ولكن هل تسكن الأرضَ حقّا يا الله ؟ حتى السماواتُ، وسماواتُ السماواتِ لا تَسَعُكَ، فكيف يَسَعُكَ هذا الهيكلُ الذي بَنَيْتُهُ لكَ؟! »

فثبت من هذه النصـوص أنَّ مَن كان مرئيّا لا يكون إلهًا قط، ولو أُطلق عليه في كلام الله لفظ (الله).

وإذا كـان الأمر كـذلك فلا بُدَّ لنا من تـأويلِ لفظ (الربّ) الوارد في (سِــفر الخروج)، ويكون قولُه: « وكـان الربُّ يســير أمامَهم » مِن إطلاق لفظِ (الربِّ) على (المَلاكِ)، وهو ما يوضِّــحه "سِـفر الخروج" في موضـعٍ آخر، بقوله: « أنَا أُرسـل ملاكي أمامَك؛ ليحفظك في الطريق، ويُدخلك إلى المكان الذي أن استعديت * فاحتفظ به، وأطِع أمرَه، ولا تُشاقّه؛ إنه لا يغفــرُ إذا أخطأتَ، إن اسـمي معــه * وينطــلق ملاكي أمامَك؛ فيُدخلك على الأموريين، والحيثيين، والفـرزيين، والكنعـانيين،/ والحويين، واليبـوسيين، الذين أنــا أُخرجهم »[4]، فقـوله: « أُرسِلُ ملاكي أمامك »، وكذا قوله : « ينطلق مَلاكي » نَصَّان على أنَّ الذي كان يسيرُ مع "بني إسرائيل" في عمودِ سحابٍ في النهار، وعمودِ نارٍ في الليل، مَلَكـًا من الملائكة، وقد أُطلق عليه لفظ (الربّ)؛ لأجل ظهور جلالِ اللهِ فيه أزيد من غيره، كما يظهر من قوله: « إنَّ

---

(١) إنجيـل يوحنـا: الإصـحاح١، الفقـرة ١٨، وراجـع: رسـالة يوحنـا الأولـى (الإصـحاح ٤، الفقـرة ١٢)

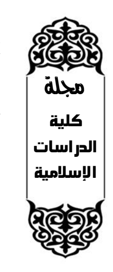
(٢) الإصحاح٦، الفقرة ١٦.

(٣) الإصحاح٦، الفقرة ١٨.

(٤) سفر الخروج: الإصحاح٢٣، الفقرات ٢٠ – ٢٣.

اسمِي معه »(١).

وفي موضـــع آخر من (ســفر الخروج) جاء إطلاق لفظ (الربّ) الإلـه على المَلَك المذكور؛ لأنه كان سائراً أمامهم، وقاتلاً لعسكر المصريين، « فانطلق مَلاكُ اللهِ مِن أمام جيش بني إسرائيل، وسار وراءَهم، وانتقل عمودُ السَّحاب أيضا، ووقف وراءَهم، بحيث دخل بين جيشِ المصريين، وجيش بني إسرائيل ... »(٢).(٣).



وهكذا، حين تغيب الموضـــوعيةُ عن الدراســـةِ الدينية المقارنة يقع الخطأُ والخلطُ، وتفقد الدراسةُ أهمَّ خصائصها وميزاتِها.

***

(١) راجـع: إظهــار الحـق. محمــد رحمــت الله بــن خليــل الــرحمن الهنــدي، ج٣/ ص٦٨٧ – ٦٨٩، تحقيـق: د/ محمــد أحمــد ملكــاوي، الرئاســة العامــة لإدارات البحــوث العلميــة والإفتــاء والــدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

(٢) سفر الخروج: الإصحاح١٤، الفقرتان: ١٩، ٢٠.

(٣) إظهار الحق: ج٣/ ص٦٩٧.

المطلب الثالث
الجهل باللغات

أمَّا العائقُ الثاني، الذي يعترض التجديدَ في "علم مقارنة الأديان"، ويُوقف حركتَه نحو الابتكار والإبداع، فهو الجهلُ السائدُ في أوساط الباحثين والأكاديميين، في العالم الإسلامي باللغات الأصليَّة للأديان، وباللغات الحيَّة العالمية كذلك. وهو وضعٌ يجعلُ النشاطَ البحثيَّ في مقارنة الأديان سطحيا وهزيلاً. وهو ما تشهد به المكتبة الإسلامية، التي تُكدَّس بمؤلفاتٍ لا تُضيف جديدا في المعرفة أو المنهج، بل تكرِّر السَّطحيةَ، وتقدِّمُ مزيدا من البراهين على فقر الفكر الإسلامي المعاصِر في هذا المجال! (١).

وهذا ما جعل كثيراً من الدراسات الدينية المقارنة تعيشُ على تراثِ السابقين من أعلام هذا الميدان - أمثال: الشهرستاني، والبيروني، وابن حزم، وغيرهم - وتعالجُ نظرياتٍ ومذاهبَ تجاوز بعضُها الزمنَ، وتُهمِلُ اتجاهاتٍ في التأصيل والتفسير جاءتها متغيراتُ الفكر ومتطلباتُ الواقع في العصر الحديث! ولا غرابةَ - والحال كذلك - أن يتجاهل الفكرُ العالميُّ هذه الدراسات، وألاَّ يكون لها أيُّ اعتبار.

وإذا كانت أعمالُ أحدِ أبرز مؤسسي عِلم مقارنة الأديان في الغرب - وهو الألماني ماكس فيبر Max Weber(٢) - قد انتُقدت لاعتماده على مصادر من الدرجة الثانية، وتمَّ

---

(١) في علم الدين المقارن: ص١٩٤ بتصرف.

(٢) ماكس فيبر: فيلسوف اجتماعي واقتصادي وسياسي ألماني (١٨٦٤ - ١٩٢٠م): وُلد بمدينة (أرفورت)، وتعلم بجامعة (هيدلبرج)، ثم في جامعة (برلين)، وأتقن - وهو لا يزال طالبا - الفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية، والإسبانية، والروسية. حصل على الدكتوراة من جامعة (جتنجن) سنة ١٨٨٩م، ثم عُين أستاذا لكرسي الاقتصاد السياسي بجامعة (فرايبورج)، فأستاذا لكرسي علم الاجتماع بجامعة (منشن). له العديد من المؤلفات، من بينها: "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، و"علم الاجتماع الديني". (راجع:

تجاوز كثيرٍ من نتائجه في دراساته المقارنة للإسلام واليهودية، وأديان الصين والهند، ولم يَعُد لها كبير قيمة لهذا السبب ذاته؛ فماذا يقول الباحثون العرب، الذين لا يعتمدون إلاَّ على مصادرَ من الدرجة الثانية وما بعدها؟!(1)



ويمكننا تناول هذا العائق من خلال العناصر الآتية:

أولا: أهمية تعلُّم اللغة

تُعدّ اللغة مِن نِعم الله – سبحانه – على الإنســـــان، وآية من آياته. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِــنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾(2)، أي: واختلاف لُغاتكم، وألوان أجسامكم(3).

ويتفاعل علِم مقارنة الأديان ـ على وجه الخصوص ـ باللغة تفاعلا كبيراً، وذلك للآتي:

١ – أنَّ اللغةَ هي الوسيلةُ التي يعبِّرُ بها الإنسانُ عن أفكاره واتجاهاته ومُيوله.

٢ – أنَّ إجادةَ لغةِ الآخر أمرٌ ضـروري؛ لإمكانية التواصـل معه، وقراءة ثقافته في وعائها الأصلي.

٣– أنَّ اللغة تمكِّنُ الباحثَ من رصد ومتابعة ما يُنتجه الفكرُ الغربيُّ في هذا المجال.

٤ – أنَّ المعرفة باللغة تُظهِرُ التطوراتِ الحادثة، والاجتهاداتِ المتجدِّدة، والاتجاهاتِ

موسوعة الفلسفة. د/ عبد الرحمن بدوي، ج٢/ ص٢١٤ – ٢١٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٩٨٤م).

(١) تأصيل مقارنة الأديان في الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة: مياسمها وإشكالاتها. د/ المبروك المنصور، وآخرون، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد٢، ص٦٦ – ٦٧، ٢٠١٧م.

(٢) سورة الروم: من الآية ٢٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ج٣/ ص٤٣٠، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

المذهبية المختلفة في الأديان[1].

٥- للترجمة - رغم أهميتها - مشـكلاتٌ عديدةٌ، تتعلق بمَدَى دقَّتها، وكونها ناقلة للفكرة التي يحملها النصُّ نقلاً سـليمًا، ومَدَى ثقافة القائم بها، وطبيعة تكوينه العلمي .... إلخ، فأخطاءُ الترجمةِ واردةٌ بلا شك[2].

ولأهمية اللغة في التعرُّف على الآخر، وثقافته، وإمكان التواصل معه، أمر النبيُّ ﷺ زيدَ بنَ ثابتٍ[3] ﷺ - أن يتعلَّم له (كتابَ يهود) أي: كتابتهم، ففي سُـنن الترمذيّ، عن زَيْدِ بن ثَابِتٍ ﷺ قال: أَمَرَنِي رسـولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ له كلماتٍ مِن كِتَابِ يَهُود؛ قال: « إنِّي - واللهِ -

(١) راجع: في علم الدين المقارن، ص١٩٢.

(٢) راجع الحديث عن بعض أخطاء الترجمة والمؤاخذات عليها في: في الفكر الإسلامي مقدمات وقضايا، د/ عبد الحميد مذكور، ص ٨٢ - ٨٩، دار الثقافة العربية، ١٩٩٣م.

(٣) هو أبو خارجة، زيد بن ثابت بن الضَّحاك الأنصاري الخزرجي (١١ ق. هـ - ٤٥هـ) : من أكابر الصحابة، وكاتب الوحي لرسول الله ﷺ. وُلد بالمدينة، ونشأ بمكة، وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابنُ إحدى عشرة سنة، كان رأسًا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وكان عمرُ ﷺ يستخلفه على المدينة إذا سافر، وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - على سَعَة علمه يأتيه إلى بيته؛ للأخذ عنه. وكان أحدَ الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، وعَرَضه عليه. وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر، ثم لعثمان - رضي الله عنهما. مات سنة ٤٥، وله في كتب الحديث ٩٢ حديثا. (راجع: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج٢/ ص٤٩٠، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلى معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ).

مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ(١) »، قال: فمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ(٢)، قال: فلمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إذا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وإذا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ(٣).

وفي روايـةٍ أخرى قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ(٤) ؟ » قُلْتُ: لا. قَالَ: « فَتَعَلَّمْهَا؛ فَإِنَّهُ تَأْتِينَا كُتُبٌ(٥) »، قَالَ: فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا. قَالَ الأَعْمَشُ: كَانَتْ تَأْتِيهِ كُتُبٌ لاَ يَشْتَهِي أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ يَثِقُ بِهِ(٦).

---

(١) أي: ما استأمن يهودَ في الزيادةِ والنقصانِ على كتابٍ. قال المظهر: أي أخاف إنْ أمرتُ يهوديًا بأن يكتُب منِّي كتابًا إلى اليهود أن يزيدَ فيه أو يُنقِص، وأخاف إنْ جاء كتابٌ من اليهود، فيقرؤه يهوديٌّ، فيزيد ويُنقص فيه. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري، ج٨/ ص٤٧٧، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ)

(٢) وفي رواية (حتى حَذَقْتُه). [راجع : سنن أبي داود، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، ج٣/ ص٣١٨، رقم ٣٦٤٥] أي: عرفتُه وأتقنتُه وعلمتُه. [عون المعبود: ج١٠/ ص٥٦].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في تعليم السُّريانية، ج٥/ ص٦٧، رقم ٢٧١٥، وقال: "هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح".

(٤) اللغة السُّريانية: إحدى اللغات السامية القديمة، المحكيَّة في بلاد ما بين النهرين الشمالية، تنتسب هذه اللغة إلى المجموعة الآرامية، وتتحدر من الآرامية الشرقية، وتشكل اللهجة الخاصة بمدينة الرُّها، وقد أصبحت اللغة التقليدية لمسيحي سوريا. [معجم الحضارات السامية، هنري س. عبّودي، ص٤٧٥، جروس برس، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م].

(٥) المعروف أنَّ (العبرية) هي لسان اليهود، وليست (السُّريانية)، ويُحتمل أنَّ زيداً ﷺ تعلَّم اللسانين؛ لاحتياجه ﷺ إلى ذلك. (راجع: فتح الباري، ج١٣/ ص١٨٧).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: كتاب: معرفة الصحابة، ذِكر مناقب زيد بن

ثانياً : اللغات المطلوب تعلُّمها

إنَّ البحثَ في الأديانِ لا يمكنُ أن يُكتفَى فيه بالأدبيات العربية - القديمة والحديثة - المكتوبة بلغة الضَّاد، ولا يُتصوَّر عِلمٌ للأديانِ في العالم الإسلامي - قائمٌ على رجليه، ومنطلِقٌ على الأســاسِ العلميِّ الصــحيح - ما لم يكن هناك اهتمامٌ باللغات؛ يمكِّنُ الباحثَ من الاطلاعِ المباشــر على المصــنَّفاتِ المختلفةِ للدِّين المدروس، في لُغته الأصــليَّة، ثم في بقيةِ لغاتِ الأديان المراد مقارنته بها.

وهذا معناه أنَّ البحثَ في مقارنة الأديان يتطلَّبُ نوعَيْن من اللغات:

النوع الأول: اللغات القديمة، التي كُتبت بها المصادرُ الأساس للأديان؛ فهي تُسعف الباحثَ في دراسته، وربما استطاع أن يكتشف - من خلال لغةِ نَصٍّ مَا - زيفَ تاريخِ كتابته، أو زيفَ اسم مَن كتبه، إن وجُد له اسم(١).

النوع الثاني: اللغات العالمية الحديثة، ولا ســيما اللغات الثلاث: الإنجليزية، والفرنســية، والألمانية؛ حتى يتمكنوا من الرصد، والمتابعة؛ كما أنَّ المعرفة بهذه اللغات تُظهِرُ التطوراتِ الحادثة، والاجتهاداتِ المتجدِّدة، والاتجاهاتِ المذهبية المختلفة في الأديان(٢).

وإذا كان الباحثُ يمكن أن يعتمدَ في (المصـادر) على الترجمات المشـهورة، والدقيقة إلى درجةٍ كبيرةٍ - ما دام لا ينشـغل بالنَّقْدِ النَّصـي - فإنَّه لا مناصَ له من إجادة إحدى اللغات العالمية الحيَّة على الأقل، إذا أُريد لدراسته أن تكون متَّصلةً بالعصـر، وقريبةً من التطورات،

ثابـت، ج٣/ ص٤٧٧، رقـم ٥٧٨١، وقـال: "صـحيح إنْ كـان ثابـت بـن عبيـد سـمعه مـن زيـد، ولـم يخرجـاه"، وأخرجـه ابـن حبَّـان في صـحيحه: ذِكـر زيـد بـن ثابـت الأنصـاري، ج١٦/ ص٨٤، رقم ٧١٣٦.

(١) عِلم مقارنة الأديان، د/ حسن الباش: ص٦٤.

(٢) في علم الدين المقارن: ص١٩٢.

ومتفاعلةً مع الأوضاع، ومشارِكةً في الانفتاح والإبداع[١].

ثالثًا : نموذج مُشْرِقٌ في هذا السياق

أسهم العلاَّمةُ "البيروني"[٢] في تسطير صفحةٍ مشرقةٍ في مسيرةِ الحضارة الإسلامية، أضاءت جانبا كبيرًا - فيما بعد - لعلماءِ أوربا، وفتحت أمامهم البابَ على مصراعيه؛ ليبنوا هم - بدورهم - حضارةً جديدةً.

يقول المستشرق إدوارد سخاو[٣] E.Sachau - الذي درس بعضَ مؤلفات البيروني، وطبعها - : « إنَّ البيرونيَّ أعظمُ عقليةٍ عرفها التاريخ »[٤].

وقد انفرد "البيروني" بين مفكري الإسلام، الذين أرَّخُوا للأديان بإجادته أهمّ اللغات الكبرى في عصره.

وتلك ضرورةٌ رآها "البيرونيّ"، مؤكدًا على أنَّ العالِمَ - ليكون متقِنًا لعلمه، ومبرَّزًا فيه - لا بُدَّ له من إجادة اللغة المدوَّن بها المادة العلمية في حقل تخصصه، وفي ذلك يقول: « فالمتقدِّمُ منهم في الصناعةِ مَن كان للغةِ أشدَّ هداية؛ ليكون بما في الكُتبِ أتمَّ إحاطةٍ، ويُباين في

---

(١) في علم الدين المقارن: ص١٩٢.

(٢) سبقت ترجمته: ص

(٣) كارْل إدوارد سَخَاو Karl Edward: Sachau (١٨٤٥ - ١٩٣٠م) : مستشرق ألماني. تعلم العربية في بلاده، وعُيِّن سنة ١٨٦٩م أستاذا للغات السامية في جامعة فيينا، وفي سنة ١٨٧٦م أستاذا للغات الشرقية في برلين. ساح في الشام والعراق، ونشر كتابا بالألمانية عن رحلاته، ومما نشره بالعربية: "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، و"تحقيق ما للهند من مقولة" كلاهما للبيروني، وأربعة مجلدات من "طبقات ابن سعد"، و"المعرّب من الكلام الأعجمي" للجواليقي. (معجم الأعلام: ج٥/ ص٢١١).

(٤) نقلا عن: تراث العرب العلمي، قدري حافظ طوقان، ص٢٧٦، القاهرة.

استقلاله بها مَن يحلم بتخاييلها، ويتصورُ منها غيرَ ما فيها »[1].

ومِن ثَمَّ اهتمَّ "البيرونيُّ" بإعداد نفسه بهذه الآليَّة إعدادًا متقَنا؛ ليجعل من قراءته لثقافة الهند – وغيرها من ثقافات الحضارات الكبرى آنذاك – بألسنتها نوعًا من التواصل الحضاري الناجع.

والقارئ لتراثه على الجُملة، ومن خلال توثيقه لمصادره ومقارناته، يقفُ على إتقانه للغاتٍ عديدة، فإلى جانب (اللغة الفارسية)[2]، أتقن – كذلك – (اللغة السنسكريتية)[3]، وعاش بين أهلها زمنًا طويلا، وكان على درايةٍ بـــ (اللغة اليونانية)[4]، و(اللغة العِبرية)[5]،

---

(١) كتاب الصيدنة للبيروني: ص١٣، نقلا عن: التواصل الحضاري في الفكر الإسلامي (دراسة تحليلية لمنهج البيروني)، د/ حمدي عبد الله الشرقاوي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص١٧٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) اللغة الفارسية: لغة "إيران" الرسمية، وتنتمي اللغةُ الفارسية إلى عائلة اللغة (الهندو – أوربية)، وقد استعارت كلماتٍ كثيرةً من اللغة العربية، وتُكتب بالأحرف العربية. وللغة الفارسية المحكيَّة لهجاتٌ عديدة، تختلف اختلافا كبيرًا من حيث النطق. (الموسوعة العربية العالمية، مج١٣/ ص٤٦٤).

(٣) اللغة السنسكريتية: أقدم اللغات الهندية، والأساس لكثير من لغاتِ الهند الحديثة، كالأردية والهندية، ويقسمها معظم المتخصصين إلى مرحلتين تاريخيتين، الأولى: مرحلة السنسكريتية الفيدية، من القرن (١٦ – ٤ ق.م)، أمَّا الفترة الثانية، وهي مرحلة السنسكريتية الكلاسيكية فإنها بدأت من القرن (٦ ق.م – ١١م). (راجع: الموسوعة العربية العالمية، مج١٣/ ص١٣٩).

(٤) اللغة اليونانية: واحدة من أقدم فروع مجموعة اللغات (الهندو – أوربية) الحيَّة، وهي تنتمي إلى اللغات اللاتينية، والحيثية، والسلافية القديمة، والسلتية، واللغات الجرمانية. [الموسوعة العربية العالمية: مج٢٧/ ص٤١١].

(٥) اللغة العِبريّة : تدخل اللغةُ العِبرية في الفرع الكنعاني من اللغات السَّامية الشمالية العربية، إلى

و(اللغة السُّريانية)[١]، هذا بالإضافة إلى لهجةِ (خوارزم)[٢] مسقط رأسه[٣].

وقد أتاحت له هذه المهارات المعرفية الاطلاعَ على ثقافاتِ هذه اللغات، وأديانها، وعقائد أهلها، بشكل مباشرٍ، دون الاعتماد - ما وسعه - على مراجعَ وسيطة، ويظهر ذلك بجلاءٍ في تعامله مع المصطلحات، حيث يقول في مقدمة كتابه عن الهند: « وذاكرٌ من الأسماءِ والمواضعاتِ في لُغتهم ما لا بُدَّ من ذِكره مرَّةً واحدةً، يُوجبها التعريفُ، ثم إنْ كان مشتقّا يمكن تحويله في العربية إلى معناه لم أَمِلْ عنه إلى غيره، إلاَّ أن يكون بالهنديةِ أخفّ في

جانب اللغات الفينيقية، والمؤابية، والأوغاريتية. كانت تُعرف لَدَى مؤلفي "العهد القديم" باسم (لسان كنعان) أو (لغة اليهود)، وقد أُطلق عليها اسم (اللغة العِبريّة) في القرن الثاني الميلادي، وهذه اللغة ليست إلاَّ تطورا للغة سكان بلاد "كنعان" الأصليين قبل مجيء اليهود إلى هذه المنطقة. [معجم الحضارات السامية: ص٥٨٩].

(١) سبق التعريف بها: ص

(٢) خوارزم: إحدى بلاد ما وراء النَّهرين، كانت ضمن ما يسمَّى بـ (بلاد خراسان) قديما، التي تضم معها بلاد: بلخ، وبُخارى، ومرو، وهرات، وغزنة. تقع خوارزم على نهر "أموداريا"، الواقع في أراضي دولتي "أوزباكستان"، و"تركمانستان"، وكانت عاصمتها "خيوة"، فتحها المسلمون في القرن الأول الهجري ضمن الفتوحات الإسلامية الأولى، وظلت مدَّة تحت حكم الأمويين، ثم العباسيين بعد ذلك. وتعرضت لسلطان المغول، واحتلال "تيمور لانك" لها فيما بين القرن الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين. [الموسوعة العربية العالمية: مج١٠/ ص١٨٢].

(٣) راجع: عِلم مقارنة الأديان في التراث الفكري الإسلامي (منهجا وقضايا)، د/ حمدي عبد الله الشرقاوي، ص١٦٨، ١٦٩، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، تاريخ العلوم عند العرب، عمر فروخ، ص٤١٧ – ٤١٨، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م، معجم العلماء العرب، باقر أمين الورد، ج١/ ص٨٥، مراجعة: ا/ كوركيس عواد، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الاستعمال، فنستعمله بعد غايةِ التوثقة منه في الكتبة، أو مقتضبا شديدَ الاشتهار، فبعد الإشارة إلى معناه، وإن كان له اسم عندنا مشهورٌ فقد سهل الأمرُ فيه »[١].

ولا شــك أنَّ هذا التنظير المنهجي، الذي التزمه (البيرونيُّ) في مؤلفاته، بلغ بها مبلغا عظيما، جعل الباحثين يُسارعون إلى دراستها، وتحقيقها، وترجمتها، وتسجيل إشاداتهم بها، وإضفاءِ هالةٍ من التقدير على صاحبها[٢].

❊ ❊ ❊

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: ص١٩.

(٢) راجــع طرفــا مــن هــذه الإشــادات في: البيــروني أعظــم عــالم موســوعي، للمستشــرق الســوفيتي: إبــراهيم مــأمونوف، ص١٧٢، ١٧٣، ترجمــة: ســليم طــه التكريتــي، مجلــة المــورد، مــج٦، العــدد ٤، وزارة الثقافة والأعلام، ١٩٧٧م.

الخـاتمة



الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصـالحات، وبتوفيقه تتحقَّق الغايات، وأصـلِّي وأسـلِّمُ وأباركُ على خاتمِ أنبياءِ الله ورُسله، سيِّدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه.

وبعد، ففي ضوء هذه الدراسة خلص الباحثُ إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولا : أهم النتائج

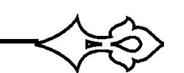
١ – لم يكن لعِلم "مقارنة الأديان" وجودٌ قبل الإسلام؛ لأنَّ المقارنةَ نتيجةٌ للتعدُّد، ولم يكن التعددُ معترَفًا به عند أحد، ومِن ثَمَّ لم يُوجَدْ ما يترتب عليه وهو المقارنة.

٢- كـان لحـديـثِ القرآن الكريم عن الأديـان، واهتمـامـه بهـا أكبرُ الأثرِ في تحفيز العقول الإسـلاميةِ لدارسـة أديان الأمم، والبحثِ في عقائدها، وتشـريعاتها، وطقوسـها، ممَّا مهَّد السبيلَ لنشأةِ "عِلم مقارنة الأديان"، ووضع أصوله، ومناهج بحثِه، وقواعد دَرْسِه.

٣- ترجع بوادر نشـاط المسـلمين في "مقارنة الأديان" إلى عُلماء (الكلام)، الذين أخذوا على عاتقهم مسئوليةَ الدّفاع عن الإسلام، ومواجهة ما حولهم من أديان وفلسفات ومذاهب، ونظرا لأهمية عِلم "مقارنة الأديان"، وضخامةِ مباحثه، استقلَّ – كفرعٍ علميٍّ تحت مسمَّى (الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ)، و(عِلْم الرُّدود على الأديان)، و(عِلْم مقالات غير الإسلاميين).

٤- ظهر عِلمُ "مقارنة الأديان" بين المسلمينَ لأسبابٍ عديدة، هيَّأت الأجواءَ لنشأته، منها: اهتمامُ القرآن الكريم بالأديان، والبُعْدُ العالمي والإنسـاني للإسـلام، بالإضـافة إلى انفتاح المسـلمين على الأديان الأخرى، وتعايشـهم معها، وكذلك الدفاع عن الإسـلام، والتصـدِّي للشبهات المثارة حوله.

٥- برز في عِلم "مقارنة الأديان" عددٌ كبيرٌ من علماءِ المسـلمين، الذين أبدعوا في عرضِ الدياناتِ، ومقارنتها بغيرها، وبذلوا في سـبيل ذلك أنفسَ أوقاتِهم، وغايةَ جهودهم، حتى تركوا للإنسـانيةِ تراثًا علميًا، استفاد منه الدَّارسون بعدَهم، واحتفَى به الغربُ والشرقُ على



حَدٍّ سواء.

٦- كان للمســلمين فَضْــلُ السَّــبقِ التاريخيّ في تدوين عِلم "مقارنة الأديان" قبل أن تعرفه أوروبا الحديثة بعشــرةِ قرون، وفوق ذلك اعتمد المســلمون في دراســتهم للأديان على مصادرها الموثوق بها، واستعانوا في ذلك بمناهج علمية دقيقة، وهكذا بعد أن اختطُّوه عِلمًا مستقلاً، اتَّخذوا له منهجًا علميًا سليمًا.



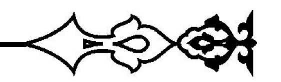
٧- بدأ اهتمامُ الغرب بعِلم "مقارنة الأديان" إبَّانَ عصـور الضـعف التي أَلَمَّت بالمسـلمين، مُعلنًا نسـبةَ هذا العِلم إليه، ومتناسـيا جهودَ المسـلمين في تأسيسـه وصـياغة مناهجه، وقد ظهرت مقدماتُ هذا العِلم في أوربا في القرن السَّــابع عشــر الميلادي، ولم يبلغ غايتَه إلاَّ في القرن العشرين.

٨- تحتاج العلومُ الإسلاميةُ إلى تجديدٍ ينظر في أصولِها، ومناهجِها، ونتائجِها، وهو تجديد تفرضــه طبيعةُ العِلم البشــري، ويفرضــه الواقع الذي يموج بالتطور والصــراع بين العقائد والنُّظُم والتصورات.

٩- يتطلب التجديد في عِلم "مقارنة الأديان" إحياء التراث المعرفي للمســلمين، وإعادة النظر فيه؛ لتخليصــه من الشــوائب التي عرضــتْ له، وصــياغته من جديد بما يلائِمُ واقعَنا المعاصــر، مع أهمية الاســتمســاك بما في هذا التراث من مقوماتٍ جوهريةٍ تأسَّــس عليها، وغاياتٍ نبيلةٍ وُضِع لأجلها.

١٠- من المشكلات المنهجية التي تُعِيق التجديد في عِلم مقارنة الأديان: غياب الموضوعية. ولذلك صور كثيرة، منها: عدم الرجوع إلى المصادر الأصيلة المعتمدَة عند أصحاب الأديان الأخرى، وعدم امتلاك اللغة التي تمكِّن من دراستها ونقدها.

١١- لغياب الموضوعية في دراسة الأديان أسبابٌ كثيرة، منها (النفسي)، كالتعصب للعقائد، واتباع الهَوَى، والخوف من التـأثُّر المحتَمـل من الانفتـاح على الآخر، ومنهـا (الفكريّ)،



كالتحيُّز للذات، والانطلاق من المسلَّمات، والتأثر بثقافة المجتمع، وغيرها من الأسباب التي تحول دُونَ الدراسة الموضوعية للأديان.

١٢- من المؤهلات العلميَّة للدراسة الدينية المقارنة: المعرفة بنوعَيْن من اللغات، النوع الأول: اللغات القديمة التي كُتبت بها المصادرُ الأساس للأديان، والنوع الثاني: اللغات العالمية الحديثة، ومن ثمرات هذه المعرفة: أنَّها تعين على قراءة العقائد في وعائها الأصلي، وتمكّن الباحث من المتابعة، ومعرفة التطوراتِ الحادثة، والاجتهاداتِ المتجدِّدة في الأديان والمذاهب.



ثانيا : أهم التوصيات

لكي يتغلب عِلمُ "مقارنة الأديان" على ما يعترضه من عقبات ومعوِّقات؛ وينهض بدوره المنوط به، يُوصي الباحثُ بالآتي:

١- إحياء التراث الإسلامي في عِلم مقارنة الأديان: ويشمل الإحياءُ صورًا متعددةً، أوجزها في الآتي:

- التنقيب عن هذا التراث، وجمعه، وتصنيفه : وهو جهدٌ يحتاج إلى جيشٍ من الباحثين من بلادٍ مختلفة، ويمكنُ لجامعة الأزهر - والتي تؤوي آلافَ الطلاب الوافدين - أن تستخدم هؤلاء في التنقيب، وإعداد فهارس علمية لهذا التراث.

- نَشْر ما لم يُنشَرْ من هذا التراث؛ من خلال تكليف طلاب الدراسات العليا بتحقيق المخطوطات العلميَّة، تحت إشرافٍ دقيقٍ من أساتذة متخصصين، ويمكن للمراكز البحثية في البلاد الإسلامية أن تتبنَّى مثلَ هذا المشروع، وتقوم على تمويله.

- القيام بدراسة نقدية شاملة لهذا التراث، تُعنَى بالبحث في اتجاهاته، ومناهجه، وأهدافه، ودوافعه.

٢- النهوض بمكتبات جامعات العالم الإسلامي؛ عن طريق إنشاء - أو تحديث - قاعدة

المعلومات المتعلقة بالأديان بها؛ لتكون في عَوْنِ الباحثين، مع الاستفادة من إنجازات ثورة الاتصالات والمعلومات في مجال المكتبات الإلكترونية.

٣- تدريب عدد من الباحثين والأكاديميين في العالم الإسلامي على تعلُّم اللغات القديمة، التي كُتبت بها المصادرُ الأساس للأديان، مع إجادة إحدى اللغات العالمية الحديثة على الأقل، وذلك إذا أُريد لدراساتنا أن تكون متَّصلةً بالعصر، وقريبةً من التطورات، ومشارِكةً في الانفتاح والإبداع.

٤- وجود منبر للمشتغلين بعِلم مقارنة الأديان والمهتمين به، في صورة (مؤسسة)، و(دورية) تابعة لها؛ تتيح لهؤلاء فرصة التواصل، وتسمح لهم بمناقشة أفكارهم وأطروحاتهم ورؤاهم، والتعرف على ما يقوم به الأقرانُ في هذا الميدان.

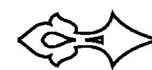
٥- الاهتمام بقضية المنهج في عِلم مقارنة الأديان، على أن تمثِّل هذه المناهج رؤيتنا الإسلامية، وتكون معيارا فاصلا بين المقبول من الآراء والمرفوض منها.

٦- المتابعة المستمرة لعَالَم الأديان؛ لا سيَّما مع تطور عِلم اللغات، والآثار، والأنثروبولوجيا، وظهور المدارس المتعددة فيه.

٧- تحليل الجهود الغربية في مجال الأديان، وتقييمها، وتقويمها؛ سواء في ميدان الدراسات الوصفية للأديان، أو في ميدان المقارنة، أو تحقيق النصوص وتفسيرها، أو في مجال المناهج الخاصة بدراسة الأديان.

تلك هي أهمُّ التوصيات التي يراها الباحثُ سبيلا لتجديد عِلم "مقارنة الأديان"، والنهوضِ به.

واللهُ – تعالى – الموفِّقُ، والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبيل.



الفهَــارس

أولا: فهرس المصادر والمراجع



[١] القرآن الكريم.

[٢] أُسس المنهج الإسلامي في دراسة تاريخ الأديان. د/ فرحات عبد الحكيم، مجلة الإحياء، العدد الثاني، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية.

[٣] الإعلام بمناقب الإسلام (تحقيق ودراسة في مقارنة الأديان)، أبو الحسن، محمد بن أبي ذر يوسف العامري، تحقيق د/ أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

[٤] البُعد الحضاري الدولي في عِلم مقارنة الأديان. د/ عبد القادر بخوش، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد ٧، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ٢٠١٢م.

[٥] تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٧٧هـ.

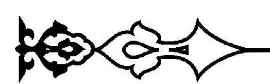
[٦] التعددية الدينية في ظل الحضارة العربية الإسلامية. د/ أحمد صدقي الدجاني، مجلة شؤون عربية، العدد ٦١، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ١٩٩٠م.

[٧] حاجة العلوم الإسلامية إلى التجديد، د/ محمد بلتاجي، مجلة فكر وإبداع، العدد١، رابطة الأدب الحديث، ١٩٩٩م.

[٨] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. آدم مِتْز، نقَله إلى العربية: د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، المجلد الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة.

[٩] الخطر اليهودي (بروتوكولات حُكماء صهيون)، أ/ محمد خليفة التونسي، تقدير: أ/ عباس العقاد، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

[١٠] دراسات في المِلل والنِّحَل (أصول المسيحية الهلِّينية)، د/ محمد عبد الله الشرقاوي،



الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

[١١] دراسـات في اليهودية والمسـيحية وأديان الهند، د/ محمد ضـياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

[١٢] دلالة الحائرين. موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، عارَضَهُ بأصوله العربية والعبرية وترجم النصوصَ: د/ حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

[١٣] الدِّين: بحوثٌ ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. د/ محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت.

[١٤] السـيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشـام بن أيوب الحميري، تحقيق: مصـطفى السقا، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ .

[١٥] صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

[١٦] صـحيح مسـلم، أبو الحسـين مسـلم بن الحجاج القشـيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[١٧] علم المِلل ومناهج العلماء فيه، د/ أحمد بن عبد الله جود، سـلسـلـة (الرسـائل الجامعية)، رقم ٣١، دار الفضـيلة، الرياض، المملكة العربية السـعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

[١٨] علم مقارنة الأديان (أصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله). د/ حسن الباش، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ .

[١٩] عِلم مقارنة الأديان بين التأصـيل والتغريب. د/ عبد القادر بخوش، مجلة الإحياء، العدد١١، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، ١٤٢٨هـ .

[٢٠] عِلم مقارنة الأديان بين سؤالي المفهوم والموضـوعية: دراسة تحليلية مقارنة. د/ عبد

الرزاق عبد الله حاش، مجلة (إسلامية المعرفة)، السنة ١٧، العدد ٦٧، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

[٢١] علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسـلام. د/ إبراهيم محمد تركي، دار الوفاء لدُنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

[٢٢] فصـول في التفكير الموضـوعي. د/ عبد الكريم بكَّار، سـلسـلة (الرحلة إلى الذات)، العدد ١، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

[٢٣] في علم الدين المقارن (مقالات في المنهج)، د/ دين محمد محمد ميرا، دار البصـائر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

[٢٤] في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات. د/ محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م،

[٢٥] قالوا عن الإسلام، د/ عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

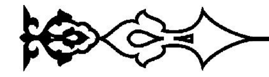
[٢٦] الكتاب المقدَّس (الترجمة العربية المشـتركة من اللغات الأصـلية، مع الكُتب اليونانية من الترجمة السبعينية. إصدار: دار الكتاب المقدَّس في الشرق الأوسط، العهد القديم – الإصدار الثاني ١٩٩٥م، الطبعة الرابعة، العهد الجديد – الإصدار الرابع ١٩٩٣م، الطبعة الثلاثون.

[٢٧] لسان العرب. أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

[٢٨] مدخل إلى الدراسة الدينية المقارنة. لخضر شايب، مجلة الإحياء، السنة الأولى، العدد الأول، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، ١٤١٩هـ.

[٢٩] مدخل إلى علم مقارنة الأديان، د/ بشـير عز الدين كردوسـي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد ١٣، ٢٠٠٣م.





[٣٠] المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية (دراسة مقارنة)، سومية حجاج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ.

[٣١] معجم الأعلام. خير الدين بن محمود الزركلي، دار العِلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

[٣٢] مقارنة الأديان (مفهومه وموضوعه وطبيعته)، هاني بن عبد الله الملحم، مجلة الدراسات الإنسانية، كلية الآداب والدراسات الإنسانية، جامعة دنقلا، السودان، العدد الخامس عشر، ٢٠١٦م.

[٣٣] مقارنة الأديان بين التنظير والتطبيق عند القاضي عبد الجبار المعتزلي، دراسة تحليلية مقارنة. د/ حمدي عبد الله الشرقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٣٤] الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

[٣٥] معجم المؤلفين. عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٣٦] الموضوعية في دراسة الأديان. د/ عامر عدنان الحافي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة ١٥، العدد ٦٠، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ربيع الأول، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

[٣٧] الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

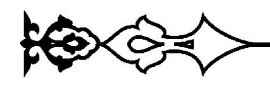
[٣٨] وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أبو العباس أحمد بن محمد بن خَلِّكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

[٣٩] اليهودية. د/ أحمد شلبي، سلسلة (مقارنة الأديان)، العدد ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨م.





ثانيا: فهرس الأعلام



ثالثا: فهرس المصطلحات





رابعا: فهرس الموضوعات


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية